مكتبة
عليه السلام
إدريس
وسفر أخنوخ
منصور عبد الحكيم

إدريس عليه السلام

وسفر أخنوخ

منصور عبد الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً(٥٦) ورفعناه مكاناً عليّاً (٥٧)﴾

سورة مريم، الآيتين ٥٦ و٥٧

المقدمة

إن الحمد لله وحده، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده خلق الخلق وقدر الأرزاق وكتب الآجال، وأرسل الرسل وبعث الأنبياء، وأشهد أن محمدًا عبده وخليله وصفيه من خلقه وحبيبه أرسله على حين فترة من الرسل فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء لايزيغ عنها إلّا هالك، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه وسنته إلى يوم الدين، أما بعد..

فقد أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين وبعث الأنبياء، فكان آدم أبو البشر وأول الأنبياء، وكان نوحًا أول الرسل للبشر، ومن أنبياء الله إدريس عليه السلام.

كان صدِّيقًا نبيًا ومن الصابرين، وأول نبي بعث في الأرض بعد آدم وابنه شيث عليهما السلام، وهو أبو جد نوح، أنزلت عليه ثلاثون صحيفة، ودعا إلى وحدانية الله وآمن به ألف إنسان، وهو أول من خطَّ بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها، وأول من نظر في علم النجوم وسيرها.

أخبرنا الله تعالى عنه في كتابه العزيز، وذكره في بضعة مواطن من سور القرآن، وهو ممن يجب الإيمان بهم تفصيلًا أي يجب اعتقاد نبوته ورسالته على سبيل القطع والجزم لأن القرآن ذكره باسمه وحدَّث عن شخصه فوصفه بالنبوة والصديقية.

وفي هذا الكتاب سوف نتكلم عن سيرته وزمانه وأعماله وما قيل عنه في المصادر الإسلامية وغيرها من مصادر أهل الكتاب، وأيضًا على الصحف التي أنزلت عليه والتي عرفت بسفر أخنوخ.

هو إدريس بن يارد بن مهلائيل ينتهي نسبه إلى شيث بن آدم عليه السلام واسمه عند اليهود (خنوخ)، وهو من أجداد نوح عليه السلام.

وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم عليه السلام 308 سنوات لأن آدم عَمَّر طويلًا زهاء 1000 ألف سنة.

وقد اختلف العلماء في مولده ونشأته، فقال بعضهم إن إدريس ولد ببابل، وقال آخرون إنه ولد بمصر، وقد أخذ في أول عمره بعلم شيث بن آدم، ولما كبر آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة (آدم) و(شيث) فأطاعه نفر قليل، وخالفه جمع كثير، فنوى الرحيل عنهم وأمر من أطاعه منهم بذلك، فثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم فقالوا له: وأين نجد إذا رحلنا مثل (بابل)؟ فقال: إذا هاجرنا رزقنا الله غيره، فخرج وخرجوا حتى وصلوا إلى أرض مصر فرأوا النيل فوقف على النيل وسبح الله، وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الناس إلى الله وإلى مكارم الأخلاق. وكانت له مواعظ وآداب فقد دعا إلى دين الله، وإلى عبادة الخالق جل وعلا، وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة، بالعمل الصالح في الدنيا وحض على الزهد في هذه الدنيا الفانية الزائلة، وأمرهم بالصلاة والصيام والزكاة وغلّظ عليهم في الطهارة من الجنابة، وحرم المسكر من كل شيء من المشروبات وشدّد فيه أعظم تشديد، وقيل إنه كان في زمانه لسانًا يتكلم الناس به وقد علمه الله تعالى منطقهم جميعًا ليعلم كل فرقة منهم بلسانهم.

وهو أول من علّم السياسة المدنية، ورسم لقومه قواعد تمدين المدن، فبنت كل فرقة من الأمم مدنًا في أرضها، وأنشئت في زمانه 188 مدينة، وقد اشتهر بالحكمة، فمن حكمة قوله: (خير الدنيا حسرة، وشرها ندم)، وقوله: (السعيد من نظر إلى نفسه وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة)، وقوله: (الصبر مع الإيمان يورث الظفر).

وقد اُختُلِفَ أيضًا في موته، فعن ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعبًا وأنا حاضر فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾؟.

فقال كعب: أما إدريس فإن الله أوحى إليه: أني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم - لعله من أهل زمانه - فأحب أن يزداد عملًا، فأتاه خليل له من الملائكة، فقال «له»: إن الله أوحى إليَّ كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى أزداد عملًا، فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرًا، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟.

قال هو ذا على ظهري، فقال ملك الموت: يا للعجب! بعثت وقيل لي: اقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟! فقبض روحه هناك. فذلك قول الله عز وجل ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

ورواه ابن أبي حاتم عند تفسيرها. وعنده: فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري؟ فسأله وهو معه: كم بقي من عمره؟.

فقال: لا أدري حتى أنظر، فنظر فقال إنك لتسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين، فنظر الملك إلى تحت جناحه إلى إدريس فإذا هو قد قبض وهو لا يشعر. وهذا من الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة.

وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى. إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حيًا إلى السماء ثم قبض هناك. فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار. والله أعلم.

قال البخاري: ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء: أنه لما مرّ به عليه السلام

قال له مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح، قالوا: فلو كان في عمود نسبه لقَال له كما قالا له.

نسأل الله أن يوفقنا إلى إخراج هذا العمل ويتقبله منا وأن يكون في ميزان أعمالنا يوم أن نلقاه إنَّهُ ولي ذلك والقادر عليه، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وسلم.

منصور عبد الحكيم محمد عبد الجليل

القاهرة – 2017

1

إدريس عليه السلام في القرآن والسنة النبوية واللغة العربية

- اسم إدريس عليه السلام في اللغة.
- ذكر إدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- إدريس عليه السلام نبيًا وليس رسولاً.
- حكم من وافق خطه خط النبي إدريس عليه السلام.

اسم إدريس عليه السلام في اللغة

من أهل اللغة من يقول إن إدريس اسم أعجمي ممنوع من الصرف ورفض وزنه على (إفعيل) من الدراسة.

وعن اختلاف اسم النبي إدريس في القرآن واسمه في العهد القديم أخنوخ يقول الدكتور / رشدي البدراوي/ - الأستاذ بجامعة القاهرة - في كتابه قصص الأنبياء:

(لم يتنبه المستشرقون إلى اختلاف اسم النبي كما ورد بالقرآن الكريم -إدريس- عن الاسم الوارد في التوراة - أخنوخ إذ هم لم يعتقدوا أن الاسمين هما لشخص واحد. وإلا لكانوا طنطنوا وأفاضوا كما فعلوا في اسم أبي إبراهيم عليه السلام -آزر- كما جاء في القرآن الكريم و- تارح - كما جاء في التوراة.

إلا أن الأستاذ / رؤوف أبو سعدة/ فسر اختلاف الأسماء هذا على أنَّ الاسم العربي هو ترجمة لمعنى الجذر المشتق عنه الاسم الوارد في التوراة.[1]

ولتقريب المسألة إلى ذهن القارئ أضرب مثلًا من الطب، فإننا نقول إنَّ شخصًا عنده anemia وهو لفظ إنجليزي - ويمكن عند تعريبه أن نلجأ إلى إبقاء النطق كما هو عند الكتابة ونكتبه بحروف عربية هكذا - أنيميا -أي كتابة النطق الأجنبي بحروف عربية. ولكن الغيورين على اللغة العربية لا يرتضون هذا الحل. فيُرجعون اللفظ الأجنبي إلى مقاطعه فنجد أن an تعني قلة، وemia - تعني دم أي تعني قلة دم أو فقر دم. وعلى ذلك فإن فقر دم هي الترجمة العربية لكلمة أنيميا الإنجليزية.

---

1. انظر كتاب (من اعجاز القرآن، ج1 ص224) - رؤوف أبو سعدة.

فاذا انتقلنا إلى أسماء الأشخاص ونفترض شخصًا اسمه بالإنجليزية mr.carpenter فمن الممكن أن نبقي النطق كما هو ونكتبه بحروف عربية هكذا مستر

كاربنتر - ومن الممكن إرجاع الاسم الإنجليزي إلى معناه نجد أنه هو الشخص الذي يعمل الأدوات الخشبيةأي النجار فتكون الترجمة العربية لاسم carpenter كاربنتر - هو النجار.

وعلى هذا المنوال يمكن ترجمة مستر بلاك سميث mr.blacksmith إلى الاسم بالعربية - السيد الحداد.

ومستر shepard شبرد إلى الراعي

وهذه الطريقة مستعملة حاليًا في بعض الأسماء مثل:

مدرسة الراعي الصالح bon pasteur بدلًا من بونباستير

مدرسة القلب المقدس sacre coeur بدلًا من ساكركير

وهي طريقة تُعطي معنى للاسم العربي لا تعطيه له طريقة كتابة النطق الأجنبي بحروف عربية.

هذا ملخص الطريقة التي افترض الأستاذ/ رؤوف أبو سعدة/ أن القرآن الكريم قد اتَّبعها:

الرجوع بالاسم الأجنبي إلى جذره اللغوي، ثم ترجمة الجذر أو أخذ مرادفه في اللغة العربية واشتقاق الاسم منه فيكون للاسم العربي نفس معنى الاسم الأجنبي.

بتطبيق هذه الطريقة على اسم أخنوخ - الوارد في التوراة.

يرى الأستاذ (رؤوف) أن أصلها العبري هو «حنوك» وفي العبرية إذا جاءت الكاف بعد حرف متحرك أو معتل تنطق خاء، أي أن حنوك تصبح حنوخ. وكلمة

حنوك العبرية مشتقة من حنك وهي تقابل الحنكة في العربية بمعنى الثقافة وحسن التدبير، وحنك العبرية فقّهه وثقّفه وعلّمه فهو حنوك أي حنوخ أو أخنوخ.

والجذر العربي المرادف هو درس. والاسم إدريس مشتق من درّس بمعنى الدارس الحاذق الذي درّس لغيره وعلّمه وهو يساوي في المعنى اسم أخنوخ الوارد في التوراة. والمشهور أن إدريس علم قومه العلوم والحساب والنجوم والسياسة فضلًا عن التعاليم الدينية وعقيدة البعث للحياة الآخرة. وعلى كلٍّ فهو اجتهاد لا بأس به.»

ومما يستشهد به في ذلك أيضًا ما جاء في كتاب أساس البلاغة لمؤلفه: (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله) (المتوفى: 538هـ):

قتل رجل في مجلس النعمان رجلًا فأمر بقتله، فقال الرجل: أيقتل الملك جاره، ويضيّع ذماره[1]؟ قال: نعم إذا قتل جليسه، وخضب دريسه؛ أي بساطه. وطريق مدروس: كثر مشي الناس فيه حتى ذلّلوه. ودرسته الرياح درسًا: تكررت عليه فعفّته. وهذه مدرسة النعم: طريقها. ودارس الذنوب: قارفها. ومن المجاز: درس الحنطة دراسًا: داسها.

فدرس وداس تترادفان.

أما درس الكتاب ودارسته الكتاب مدارسة، وتدارسوه حتى حفظوه فهذا المعنى مشتق والله أعلم من اسم النبي «إدريس» عليه السلام الذي يعتقد بأنه أول من خط بالقلم ودوّن الصحف. وهو ما يسمى بالاشتقاق من أسماء الأعيان.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: 14] فكلمة المقنطرة اسم فاعل والفعل قنطر يقنطر قنطرة وهي مشتقة من قنطار الذي يعادل مئة رطل وهو اسم أعجمي من أسماء الأوزان

---

1. ذمار: هو ما ينبغي الدفاع عنه مثل: الأهل والعرض، يقال في المدح.

التي أخذها العرب من البلدان المجاورة التي تعاملوا معها تجاريًا كالدانق والقيراط والدرهم والأوقيشضة والرطل. وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [سورة ص: 21]. فالفعل تسوَّر مشتق من الاسم سوَّر.

أما اسم إدريس فهو مشتق من «تريس» وهي تعني «ثلاثة» باليوناني فقد لقبه الإغريق بـ (تريس ماجيستوس). أي مثلث العظمة وهو عند الإغريق من الآلهة وهو هرمس الهرامسة.

فالكلمة عندما تنتقل من شعب إلى شعب آخر تتعرض لبعض التعديلات لكي تصبح أكثر وضوحًا للمستمع.

ومن أمثلة ذلك نطق مدينة Sofia صوفيا وليس سوفيا. وكذلك فإن Istanbul ننطقها إسطنبول وليس إستنبول وبنفس الطريقة تحولت التاء في تريس إلى دال في إدريس، أما الألف المضافة في بداية كلمة إدريس فقد أضيفت لأن العربية لا تبدأ بساكن تمامًا كما في Spain فإننا ننطقها إسبانيا لكي تتوافق مع طريقة اللفظ العربية. وهناك أمثلة أخرى مثل: أسكتلاندا Scotland، والإغريق Grick وبهذا الشكل عرفنا كيف أن الرقم ثلاثة في اللغة اليونانية هو تريس الذي اشتق منه اسم النبي إدريس ومنه اشتقت كلمة درّس يدرس الدرس تمامًا كما نشتق ترك من تركيا وفرنس من فرنسا وسعود من سعودية ومركس من ماركس وشيّع من شيعة.. إلخ[1]

وهناك من يرى أن اسم إدريس لقب اشتهر به، فهناك من الناس من يشتهروا بألقابهم حتى ليصبح بعضها أشهر من الأسماء الحقيقية وهذا الأمر موجود في أسماء الشخصيات التاريخية حتى أن الاسم الحقيقي ينسى مع الزمن ويبقى اللقب الذي يظن الكثيرون أنه الاسم الحقيقي للشخص.

---

1. https: //ar.wikipedia.org/wiki

وقد ذكر القرآن الكريم بعض الأشخاص بأسمائهم الحقيقية وبعضهم بألقابهم وذكر النبي يعقوب عليه السلام بالاسم واللقب معًا فاسمه إسرائيل ولقبه يعقوب، والدليل قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71].

فكلمة من وراء تفيد أنه يأتي عقب إسحاق أي يعقبه فهو يعقوب أما اسمه فهو إسرائيل وربما تعني عبد الله.

ومن الممكن أن اسم النبي إدريس عليه السلام من لقبه الذي اشتهر به ويكون اسمه في العهد القديم أخنوخ بالعبرانية، واسمه عند اليونان هرمس، (أرميس)، ثم عرب إلى هرمس الهرامسة، وقيل بأن هذا لم يكن اسمه، ولكن كان لقبًا من ألقابه[1]. والله أعلم.

1. موريس بوكاي «التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث»

ذكر إدريس في القرآن الكريم والسنة النبوية

جاء ذكر نبي الله إدريس عليه السلام في القرآن في آيتين من سورة مريم وآية في سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)﴾.. سورة مريم.

وفي سورة الأنبياء: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّابِرِينَ﴾.

[الأنبياء: 85]

في هذه الآيات القرآنية الثلاث سجل القرآن الكريم لعبد الله ونبيه إدريس عليه السلام من مكارم الأخلاق صفات الصبر والصديقية ورفعة القدر عند رب العالمين ووضعه في زمرة عدد من أنبياء الله ومن هنا كان واجب الإيمان بنبوته عليه السلام.

ومن المعلوم أن الأنبياء هم صفوة الله من خلقه اختارهم بعلمه وحكمته وقدرته من أكمل البشر خلقة وخلقا وأشرفهم نسبًا وأكثرهم ذكاءً وفطنةً وإيمانًا وورعًا وأغزرهم فقهًا وعلمًا وأعمقهم فهمًا لرسالة الإنسان في هذه الحياة وبمصيرهم من بعدها وألزمهم بالمنهج الذي يرتضيه الله تعالى من عباده المستخلفين في الأرض.

وكتب التفسير لم تفصل في سيرة نبي الله إدريس عليه السلام لأن القرآن الكريم لم يذكره إلا في الآيات الثلاثة التي ذكرناها.

ومما كتب عن نبي الله إدريس عليه السلام أنه كان أول نبي بعثه الله تعالى بعد كل من آدم وشيث ولد آدم وأنه بعث لهداية ذرية قابيل الذي كان قد قام بأول عملية قتل لإنسان على وجه الأرض فقتل أخاه هابيل بغير ذنب جناه، وانحرفت ذريته من بعده عن هداية رب العالمين.

ولحكمة يعلمها الله تعالى لم يفصل القرآن الكريم سيرة عبد الله ونبيه إدريس، واختلفوا في شأنه اختلافًا كبيرًا، فقالوا: إنه وُلِدَ بمدينة (منف) من أرض مصر، وادعت بأن اسمه باللغة اليونانية هو، (أرميس)، ثم عُرِّب إلى هرمس الهرامسة، وقيل بأن هذا لم يكن اسمه، ولكن كان لقبًا من ألقابه. واسمه عند العبرانيين هو، (خنوخ)، وعرب إلى (أخنوخ)، وحرف في اللغة الإنجليزية إلى (أنوك =enoch)، ولكن الله تعالى ذكر بأن اسمه إدريس، وكلام الله تعالى هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقالوا: إنه خرج من مصر وجاب الأرض ثم عاد إليها، وعند انقضاء أجله رفعه الله تعالى مكانًا عليًا، وقد يكون المقصود بذلك مقام الزلفى عند رب العالمين، ورفع ذكره، وقد يكون المقصود ما شاع من رفعه إلى السماوات العلى، ويدعم هذا التفسير ما جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ مر بالنبي إدريس عليه السلام في السماء الرابعة ليلة الإسراء والمعراج.

وقالوا أيضًا إنه (إدريس عليه السلام) ولد بأرض بابل من العراق وبها نشأ وأنه قبل بعثته أخذ بعلم شيث ابن آدم، ولما بعث وجاءه وحي السماء بدأ يدعو إلى دين الله، (الإسلام)، فلم يتبعه إلا أقل القليل من أهل بابل، فغادرهم هو ومن آمن معه إلى أرض مصر وأخذوا في دعوة المصريين إلى دين الله الواحد الأحد الفرد الصمد وإلى عبادته بما أمر، وإلى الالتزام بحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله فيها، وبالاستقامة على المنهج الذي يرتضيه ربنا تبارك وتعالى من عباده من أجل السعادة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة والنجاة من النار.

وذكر ابن إسحاق أن إدريس عليه السلام كان بعد آدم عليه السلام وأنه أدرك من حياة آدم، 380، سنة، كما قيل إن إدريس كان أول من خط بالقلم، وأول من خاط

فحمله بين جناحيه ثم صعد به، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت فقال له أريد أن تعلمني كم بقي من أجل إدريس قال: وأين إدريس؟ قال: هو معي، فقال: إن هذا الشيء عجيب، أمرت بأن أقبض روحه في السماء الرابعة، فقلت: كيف ذلك وهو في الأرض؟ فقبض روحه، فذلك قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾ وهذا من الإسرائيليات، والله أعلم بصحة ذلك.

وذكر ابن قتيبة أن إدريس رفع وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان أن إدريس كان نبيا رسولًا وأنه أول من خط بالقلم، وذكر ابن إسحاق له أوليات كثيرة، منها أنه أول من خاط الثياب. (انتهى).[1]

---

1. فتح الباري، لابن حجر العسقلاني.

ذكر إدريس عليه السلام في صحيح البخاري وفتح الباري

جاء في صحيح البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء)، باب ذكر إدريس عليه السلام وهو جد أبي نوح ويقال جد نوح عليهما السلام وقول الله تعالى: **﴿ورفعناه مكانا عليا﴾** سورة مريم:

- عن ابن شهاب قال: قال أنس بن مالك: كان أبو ذر رضي الله عنه يُحدّث أن رسول الله ﷺ قال:

فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري، ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء، فلما جاء إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح قال: من هذا؟

قال: هذا جبريل.

قال: معك أحد؟

قال: معي محمد.

قال: أرسل إليه؟

قال: نعم.

فافتح فلما علونا السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا

نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح.

قلت: من هذا يا جبريل؟

قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى، ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح، قال أنس: فذكر أنه وجد في السموات إدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت لي كيف منازلهم غير أنه قد ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السادسة، وقال أنس: فلما مر جبريل بإدريس قال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت: من هذا؟

قال: هذا إدريس.

ثم مررت بموسى. فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح.

قلت: من هذا؟

قال: هذا موسى.

ثم مررت بعيسى فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح.

قلت: من هذا؟

قال: عيسى.

ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح.

قلت: من هذا؟

- قال: هذا إبراهيم.

- قال: وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام.

قال ابن حزم وأنس بن مالك رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: ففرض الله علي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى أمر بموسى، فقال موسى: ما الذي فرض على أمتك؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة، قال: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت فراجعت ربي فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فذكر مثله، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت فراجعت ربي، فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي، ثم انطلق حتى أتى بي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك.

قال أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري شرح صحيح البخاري قوله: (باب وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون - إلى - وتركنا عليه في الآخرين سقط لفظ «باب» من رواية أبي ذر، وكأن المصنف رجح عنده كون إدريس ليس من أجداد نوح فلهذا ذكره بعده، وسأذكر ما في ذلك في الباب الذي يليه. وإلياس بهمزة قطع وهو اسم عبراني. وأما قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْيَاسِينَ﴾ [الصافات: 130] فقرأه الأكثر بصورة الاسم المذكور وزيادة ياء ونون في آخره. وقرأ أهل المدينة «آل ياسين» بفصل آل من ياسين، وكان بعضهم يتأول أن المراد سلام على آل محمد ﷺ وهو بعيد، ويؤيد الأول أن الله تعالى إنما أخبر في كل موضع ذكر فيه نبيًا من الأنبياء في هذه السورة بأن السلام عليه فكذلك السلام في هذا الموضع على إلياس المبدأ بذكره، وإنما زيدت فيه الياء والنون كما قالوا في إدريس إدراسين والله أعلم.

قوله: (قال ابن عباس) وصله ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: سلام على إل ياسين يذكر بخير.

قوله: ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس، أما قول ابن مسعود فوصله عبد بن حميد وابن أبي حاتم بإسناد حسن عنه قال: إلياس هو إدريس، ويعقوب هو إسرائيل. وأما قول ابن عباس. فوصله جويبر في تفسيره عن الضحاك عنه وإسناده ضعيف، ولهذا لم يجزم به البخاري.

وقد أخذ أبو بكر بن العربي من هذا أن إدريس لم يكن جدًا لنوح وإنما هو من بني إسرائيل لأن إلياس قد ورد أنه من بني إسرائيل، واستدل على ذلك بقوله عليه السلام للنبي ﷺ «مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح» ولو كان من أجداده لقال له كما قال له آدم وإبراهيم» والابن الصالح» وهو استدلال جيد إلا أنه قد يجاب عنه بأنه قال ذلك على سبيل التواضع والتلطف فليس ذلك نصًا فيما زعم.

وقال ابن إسحاق في أول السيرة النبوية لما ساق النسب الكريم فلما بلغ إلى نوح قال: ابن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون، وأشار بذلك إلى أن هذا القول مأخوذ عن أهل الكتاب.

واختلف في ضبطه فالأكثر خنوخ بمعجمتين بعد الأولى نون بوزن ثمود، وقيل بزيادة ألف في أوله وسكون المعجمة الأولى، وقيل غير ذلك لكن بحذف الواو، وقيل كذلك لكن بدل الخاء الأولى هاء، وقيل: كالثاني لكن بدل المعجمة مهملة.

واختلف في لفظ إدريس فقيل هو عربي واشتقاقه من الدراسة، وقيل له ذلك لكثرة درسه الصحف، وقيل: بل هو سرياني، وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان أنه كان سريانيًا، ولكن لا يمنع ذلك كون لفظ إدريس عربيًا إذا ثبت بأن له اسمين.

قوله: (باب ذكر إدريس) سقط لفظ «باب» من رواية أبي ذر وزاد في رواية

الحفصي «وهو جد أبي نوح وقيل: جد نوح». قلت: الأول أولى من الثاني كما تقدم، ولعل الثاني أطلق ذلك مجازًا لأن جد الأب جد. ونقل بعضهم الإجماع على أنه جد لنوح، وفيه نظر لأنه إن ثبت ما قال ابن عباس أن إلياس هو إدريس لزم أن يكون إدريس من ذرية نوح لا أن نوحًا من ذريته لقوله تعالى في سورة الأنعام ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾ فدل على أن إلياس من ذرية نوح سواء قلنا إن الضمير في قوله: ومن ذريته لنوح أو لإبراهيم، لأن إبراهيم من ذرية نوح فمن كان من ذرية إبراهيم فهو من ذرية نوح لا محالة.

وذكر ابن إسحاق في «المبتدأ» أن إلياس هو ابن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون أخي موسى بن عمران فالله أعلم.

وذكر وهب في «المبتدأ» أن إلياس عمّر كما عمّر الخضر وأنه يبقى إلى آخر الدنيا في قصة طويلة، وأخرج الحاكم في «المستدرك» من حديث أنس أن إلياس اجتمع بالنبي ﷺ وأكلا جميعًا وأن طوله ثلاثمائة ذراع وأنه قال إنه لا يأكل في السنة إلا مرة واحدة، أورده الذهبي في ترجمة يزيد بن يزيد البلوي وقال: إنه خبر باطل.

قوله: وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ ثم ساق حديث الإسراء من رواية أبي ذر، وقد تقدم شرحه في أوائل الصلاة، وكأنه أشار بالترجمة إلى ما وقع فيه أنه وجده في السماء الرابعة وهو مكان علي بغير شك، واستشكل بعضهم ذلك بأن غيره من الأنبياء أرفع مكانا منه، ثم أجاب بأن المراد أنه لم يرفع إلى السماء من هو حي غيره، وفيه نظر لأن عيسى أيضًا قد رفع وهو حي على الصحيح، وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية، وقد روى الطبري أن كعبًا قال لابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ أن إدريس سأل صديقًا له من الملائكة

فحمله بين جناحيه ثم صعد به، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت فقال له أريد أن تعلمني كم بقي من أجل إدريس قال: وأين إدريس؟ قال: هو معي، فقال: إن هذا لشيء عجيب، أمرت بأن أقبض روحه في السماء الرابعة، فقلت: كيف ذلك وهو في الأرض؟ فقبض روحه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ وهذا من الإسرائيليات، والله أعلم بصحة ذلك.

وذكر ابن قتيبة أن إدريس رفع وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان أن إدريس كان نبيا رسولًا وأنه أول من خط بالقلم، وذكر ابن إسحاق له أوليات كثيرة، منها أنه أول من خاط الثياب. (انتهى).[1]

---

1. فتح الباري، لابن حجر العسقلاني.

إدريس عليه السلام نبيًا وليس رسولًا

عند العلماء أن النبي هو الذي يوحى إليه بشرع لكن لا يؤمر بتبليغه، بل هو وحي لنفسه أي يأمر نفسه بالعمل، فهذا يقال له نبي فإذا أمر بالتبليغ للناس، هذا يقال له رسول، نبي رسول.

وكذلك النبي هو الذي يكون مبعوثًا بشريعة سبقه إليها نبي قبله، كالأنبياء بعد موسى للذين يحكمون بالتوراة فالذين سبقوه هؤلاء أنبياء ورسل، أما الرسول المستقل كموسى ونوح وهود هؤلاء يقال لهم رسل وهم أنبياء أيضًا.

جاء في لسان العرب لابن منظور أن النبي في اللغة: على وزن فعيل من الإنباء، وهو الإخبار، والنبيء: على وزن فعيل مهموز؛ لأنه أنبأ عن الله، أي أخبر.

وفي الاصطلاح قال (عبد القاهر البغدادي): (إنَّ النبي كلُّ من نزل عليه الوحي من الله عزَّ وجلَّ على لسان أحد الملائكة، وكان مُؤيَّدًا بنوع من الكرامات النَّاقضة للعادات).

والرَّسُول في اللغة: جمع رُسْل ورُسُل وهو: مبعوث، شخص يحمل الرَّسائل، أو ينقل رسالةً شفويةً، أو يقوم برحلة قصيرة لتوصيل رسالة (ويستوي فيه الواحد وغيره).

والرسول في الشرع: هو من البشر بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ الأحكام، أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام.

وهناك عدد من الفروق بين النبي والرسول ذكرها العلماء، وهذه الفروق كالآتي:

النبي هو من نَبّأَهُ الله بخبر السماء، فإن أُمِرَ بتبليغ غيره فهو نبيٌّ رسول، وإن لم
يُؤمَر بذلك فهو نبيٌّ وليس برسول.

قيل: الرسول من أُرسِلَ إلى قومٍ مُخالِفين، مثل نوح عليه السلام، والنبي هو من
لم يُرسَل إلى قومٍ مُخالِفين وإن أُمِرَ بتبليغ الدعوة.

الرسول أخصُّ من النبي؛ أي أنَّ كل رسولٍ نبي، وليس كل نبي رسولًا، وعليه
تكون الرسالة أعمُّ من النبوة من الجهة نفسها، فالرسالة تتناول النبوة وغيرها،
وأخصُّ من النبوة من جهة أهلها.[1]

إن النبوة والرسالة والنبي والرسول من الكلمات التي إذا اجتمعتا معًا كان معنى
كل واحد مُختلفًا عن الآخر، وإذا تفرّقتا اجتمعتا في المعنى، فيكون المُراد منهما
واحدًا، ومثال ذلك قول الله عزَ وجل: ﴿**وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا
وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً**﴾ [مريم: 51].

وكذلك قول الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ**﴾ [الحج: 52]. والشاهد من الآيات الكريمة أنَ لفظة (نبي) جاءت معطوفة
على لفظة (رسول)؛ مما يَدل على أنه يوجد اختلاف بينهما.[2]

إنَّ الرسل من أُرسلوا إلى كفارٍ يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك
له، فيُكذِب القوم رُسُلهم، قال الله عزَ وجل: ﴿**كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّن
رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾ [الذاريات: 52].

وقال الله عزَ وجل: ﴿**مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ**﴾ [فصلت: 43].

---

1. انظر شرح العقيدة الواسطية - د. محمد بن خليل حسن هراس.
2. انظر تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد - عبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي بن بكري بن محمد بن مهدي بن موسى بن جعثم بن عجيل.

فالرسول يُرسَل إلى قوم مُخالفين، فيُكذبه بعضهم ويُصدقه بعضهم، ويُسمى الرسول رسولًا على الإطلاق؛ لأنه يُرسَل إلى قوم بما لا يعرفونه وما لم يأتهم من قبل.

إنَ الرسول من أوحِي إليه بشرعٍ جديد، والنبي هو المبعوث لتأكيد شرعِ مَن قبله، وأكثر الأنبياء المبعوثين إلى بني إسرائيل من هذا القبيل.

يوجد عدد من الأمور المُشتَركة بين الرسل والأنبياء بشكل عام، ومن هذه الأمور أنّهم جميعًا مبعوثون من عند الله عزّ وجل لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

أنّ الله عزّ وجل اصطفاهم واختارهم وخصهم من بين خلقه من البشر بحمل الدعوة وهداية الناس.

أنّ الإيمان بهم أصلٌ وركنٌ من أركان الإيمان، وإنكارهم كفر لما عُلم من الدين بالضرورة.

أنّ الأنبياء والرسل معصومون من الكبائر والذنوب والمعاصي.

أنّ الغاية من بعثهم هداية الناس لما فيه خير الدنيا والآخرة، وإصلاحهم للفوز بالجنة التي وعدهم الله إياها.

أنّ وظيفتهم التبليغ عن الله عزّ وجل والدعوة إليه وعبادته.

ومما سبق يتضح لنا أن إدريس كَانَ أَوَلَ نَبِي آدَمَ أُعْطِيَ النُّبُوَةَ بَعْدَ آدَمَ وَشِيث عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ذكره القرآن الكريم باسمه في سورة مريم، الآيتين 56 و57 حيث قال تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً (٥٧)** ﴾.

أي أنه أحد الأنبياء الكرام الذين أخبر الله عنهم في كتابه العزيز حيث ذكر صراحة أنه نبي.

وأما أول الرسل فهو نوح عليه الصلاة والسلام لُقِّب بأبي البشر الثاني، وهو أول رسول أرسله الله إلى الناس؛ لدعوتهم إلى توحيد الله عز وجل، وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ أي أدريس وينتهي نسبه إلى شيث عليه السلام بن آدم أبي البشر، وعرف قبل النبوة بالصلاح، والسيرة الحسنة، والاستقامة، والخلق الرفيع، ومحبته بين الناس، وذكر نوح عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم في 43 موضعًا، وذكرت في القرآن الكريم سورة باسمه «سورة نوح»؛ لأنه تحمل الأذى الكبير من قومه؛ صنفه الله سبحانه وتعالى مع الرسل أولي العزم.

بعث النبي نوح عليه الصلاة والسلام إلى قوم «بني راسب»، وكانوا من عبدة الأصنام؛ فأمر الله سبحانه وتعالى النبيّ نوحًا عليه الصلاة والسلام بتبليغ رسالة الوحدانيّة، والدعوة إلى الله، حيث أخذ يدعو في قومه 950 عامًا، لقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً﴾ [العنكبوت: 14].

جاء في الحديث النبوي: «كان آدم نبيًا مكلمًا، كان بينه وبين نوح عشرة قرون، وكانت الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر».

ذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» 6 / 358: أخرجه أبو جعفر الرزاز في «مجلس من الأمالي».

في تفسير الطبري (حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا همام بن منبه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله «كان الناس أمةً واحدةً فاختلفوا».

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر: أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

إن الأصل الذي كان عليه الناس بعد آدم عليه السلام هو التوحيد والإيمان

الخالص بالله عز وجل كما كان أبوهم آدم عليه السلام، وجرى الأمر على هذا، واستمر حال الناس على الاستقامة والهدى، مجتمعين على أمة واحده، ودين واحد، ومعبود واحد، كما قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[البقرة: 213]

وقوله ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: في الفترة التي بين آدم ونوح - عليهما السلام -

وقوله تعالى ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: جماعة على دين واحد، وهو الدين الحق، الذي هو الإسلام، المتضمن التوحيد الخالص.

والقوم قبل نوح عليه السلام كانوا صالحين في عليين، لا يشوبهم أوثان ولا انحرافات عن جادة الصواب وبالتالي لا يحتاجون لمن يدعوهم لترك الأوثان لأنه لم يوجد أوثان آنذاك ولم تُعرف وتتخذ أصلًا، والدليل على أن الأزمنة التي قبل نوح كلها عُبّادٌ وعلماء وصالحون بكثرة (أي زمن إدريس وشيث) وجود خمسة من الصالحين هم: ود - سواع - يغوث - يعوق - نسر، جاء ذكرهم في القرآن الكريم في ذكر قصة نوح عليه السلام.

ولما مات الصالحون قُرابة زمن إدريس حزن الناس عليهم، ففكروا ببناء التماثيل لتجسيد صورهم وتخليد ذكراهم، فنهاهم إدريس عن ذلك لأن التصوير حرامٌ في شرعه إلا أنهم جسّدوا صالحيهم بالطين، وقالوا إنما فعلنا ذلك حبًا لصالحيهم وكانت تلك الخطوة الأولى نحو عبادتهم لتلك الأصنام، والخطوة الثانية كانت تساهلًا في الحب في الشخص.

نهاهم إدريس ودعاهم لترك المحرمات من تمثيل الأجساد التي بها روح لأن ذلك حرامًا وحتى لايقوم في الشرك.

وهكذا في زمن إدريس ارتُكبت المحرمات فقط، لكن لم تُعبَد الأوثان، أما في زمن نوح فكانت بداية عبادة تلك الأصنام.

قال تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً (٢٤)** ﴾ [نوح: 23 - 24].

وجاء في العهد القديم أن قوم إدريس الذين دعاهم إلى الله ودعاهم لهدم ما فعلوه من محرمات هم بنو قابيل أما بنو شيث فكانوا من قومه أيضًا ولكنهم كانوا صالحين لم يخالطوا أبناء عمومتهم من ذرية قابيل.

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية:

إن مولده (أي نوح) بعد وفاة آدم، بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما ذكره ابن جرير وغيره.

وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم، يكون بين مولد نوح، وموت آدم، مائة وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون، كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في (صحيحه):

حدثنا محمد بن عمر بن يوسف، حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، سمعت أبا سلام، سمعت أبا أمامة، أن رجلًا قال: يا رسول الله: أنبي كان آدم؟

قال: نعم مكلم.

قال: فكم كان بينه وبين نوح؟

قال: عشرة قرون.

قلت: وهذا على شرط مسلم، ولم يخرجه.

وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس قال: كان بين آدم ونوح، عشرة قرون كلهم على الإسلام، فإن كان المراد بالقرن مائة سنة - كما هو المتبادر عند كثير من الناس - فبينهما ألف سنة لا محالة، لكن لا ينفي أن يكون أكثر، باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام، إذ قد يكون بينهما قرون أخرى متأخرة، لم يكونوا على الإسلام، لكنّ حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون.

وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على الإسلام. وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ، وغيرهم من أهل الكتاب، أن قابيل وبنيه، عبدوا النار، والله أعلم. (انتهى)

ومن المعلوم أن الرسول يرسله الله إلى قوم قد أشركوا بالله وعبدوا غير الله، أما ما جاء في سيرة إدريس عليه السلام فإنه بعث في الفترة التي سبقت نوح عليه السلام وأنه بعث في قوم ظالمين طغاة وليسوا على الشرك أو الكفر .والله أعلم

والذي صح عن النبي ﷺ إنما هو تحديد المدة الزمنية بين آدم ونوح، حيث حددها النبي ﷺ بعشرة قرون كما سبق أن ذكرنا، كما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة، وصححه ابن كثير على شرط مسلم، وصححه الألباني.

وأما كون هذه القرون كانت على التوحيد، فهذا قد اختلف فيه حتى عن ابن عباس نفسه، بناء على المقصود بقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: 213].

قال ابن الجوزي رحمه الله في كتابه (زاد المسير): في المراد بالناس هاهنا ثلاثة أقوال. أحدها: جميع بني آدم، وهو قول الجمهور. والثاني: آدم وحده، قاله مجاهد. والثالث: آدم وأولاده كانوا على الحق فاختلفوا حين قتل قابيل هابيل، ذكره ابن الأنباري.

والأمة هاهنا الصنف، والواحد على مقصد واحد، وفي ذلك المقصد الذي

كانوا عليه قولان، أحدهما: أنه الإسلام، قاله أبي بن كعب وقتادة والسدي ومقاتل. والثاني: أنه الكفر، رواه عطية عن ابن عباس. ومتى كان ذلك؟ فيه خمسة أقوال، أحدها: أنه حين عرضوا على آدم وأقروا بالعبودية، قاله أبي بن كعب.

والثاني: في عهد إبراهيم كانوا كفارًا، قاله ابن عباس. والثالث: بين آدم ونوح، وهو قول قتادة. والرابع: حين ركبوا السفينة كانوا على الحق، قاله مقاتل. والخامس: في عهد آدم، ذكره ابن الأنباري.

وقال الطبري في تاريخه: وجائز أن يكون كان ذلك حين عرض على آدم خلقه. وجائز أن يكون كان ذلك في وقت غير ذلك، ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة على أي هذه الأوقات كان ذلك. فغير جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل من أن الناس كانوا أمة واحدة، فبعث الله فيهم لما اختلفوا الأنبياء والرسل. ولا يضرنا الجهل بوقت ذلك، كما لا ينفعنا العلم به، إذا لم يكن العلم به لله طاعة.

وقال المازري في (المعلم بفوائد مسلم) في شرح قول آدم في حديث الشفاعة المتفق عليه: ائتوا نوحًا أول رسول بعثه الله. قال: ذكر المؤرخون أن إدريس جدّ نوح عليهما السلام، فإن قام الدليل على أن إدريس بعث أيضًا لم يصح قول النسابين أنه قبل نوح؛ لما أخبر به ﷺ من قول آدم: إن نوحًا أول رسول بعث. وإن لم يقم دليل جاز ما قالوا. وصح أن يُحمل ذلك على أن إدريس كان نبيًا غير مرسل.

ومما ذكره غير واحد من المفسرين أن إدريس عليه السلام هو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار، ذكره البغوي والخازن وابن عادل والبقاعي والخطيب الشربيني، وقال الماوردي في (النكت والعيون): حكى ابن الأزهري عن وهب بن منبه أن إدريس أول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبى.

وقال العز بن عبد السلام في تفسيره: هو أول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله تعالى وقتل بني قابيل.

وقال القاضي عياض في (إكمال المعلم): قد يُجمعُ بين هذا بأن يُقال: اختص
ث نوح لأهل الأرض، كما قال في الحديث: «كافة» كنبينا ﷺ، ويكون إدريس
ومه كموسى وهود وصالح ولوط وغيرهم.

وبمثل هذا أيضًا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما إلى من معهما، وإن
انا رسولين، فإن آدم إنما أرسل لبنيه ولم يكونوا كفارًا، بل أمر بتعليمهم الإيمان
التوحيد وطاعة الله، وكذلك خلفه شيث بعده فيهم، بخلاف رسالة نوح إلى كفار
هل الأرض. اهـ.

وقال الخرشي في (شرح مختصر خليل): فائدة: أول الرسل آدم، وأول نبي
بعثه الله في الأرض إدريس، وأول الرسل نوح.. ولا تعارض بين العبارتين. أما آدم
رسله الله إلى أولاده ليعلمهم ويهديهم إلى ما أمر الله به فكان أول رسول، وأما
وح فهو أول رسول إلى الكفار اهـ.

وقال العدوي في شرحه: قوله «أول الرسل آدم» أي على الإطلاق. وقوله «وأول
نبي بعثه الله في الأرض» أي بعد شيث، وقوله «وأول الرسل نوح» أي بعد إدريس،
وأما قول الشارح: ولا تعارض بين العبارتين. فلم أفهمه؛ وذلك لأنه سكت عن
إدريس مع أنه نبي ورسول، وقد قال فيه «وأول نبي بعثه الله في الأرض إدريس»
وأيضًا فقد ذكر المفسرون الخازن والخطيب أن إدريس أول من قاتل الكفار.
والظاهر أنه إنما قاتلهم لكونهم لم يؤمنوا به، فإذن يكون مرسلًا إليهم. فلعل الأظهر
ما قلنا، أخذته من قول القسطلاني في شأن إدريس وكان إدريس أول نبي أعطي
النبوة بعد آدم وشيث، وفي شأن نوح، وهو أول نبي بعثه الله بعد إدريس. أو نقول:
وأول الرسل نوح أي بتحريم البنات والعمات والخالات، نقله عن القرطبي اهـ.

والخلاصة: إن ما ذكر في ذلك لا يعدو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فقال:
هذا ونحوه منقول عمن ينقل الأحاديث الإسرائيلية ونحوها من أحاديث الأنبياء

المتقدمين، مثل وهب بن مُنَبِّه وكعب الأحبار ومالك بن دينار ومحمد بن إسحاق وغيرهم، وقد أجمع المسلمون على أن ما ينقله هؤلاء عن الأنبياء المتقدمين لا يجوز أن يجعل عمدة في دين المسلمين، إلا إذا ثبت ذلك بنقل متواتر، أو أن يكون منقولا عن خاتم المرسلين.[1]

1. http: //fatwa.islamweb.net

حكم من وافق خطه خط النبي إدريس عليه السلام

روى مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمَّاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي، وَلا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ.

قَالَ: «فَلا تَأْتِهِمْ».

قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟

قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلا يَصُدَّنَّهُمْ».

قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ مِثْلَ خَطِّهِ فَذَاكَ».

ومن هذا زعم بعضهم بجواز التنجيم برسم الخطوط على الرمال، والضرب بالرمل من علامات معرفة الغيب هو من فعل الكهّان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويفسدون أديان الناس وعقائدهم.

والحديث الذي رواه مسلم سالف الذكر والذي فيه «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ مِثْلَ خَطِّهِ فَذَاكَ»، لا يدل بحال على صحة ما يدعيه الكهان؛ لأن خط ذلك النبي عليه السلام على الرمل كان آية من آيات الله، علَّمه الله تعالى إياه، ليكون دلالة على ما يوحي الله تعالى له به، وما يعلمه إياه، ثم إن نبينا ﷺ قد علَّق أمر الخط على الرمل على مستحيل وهو موافقة الخط لخط ذاك النبي عليه السلام، وأنّى لمدَّعٍ أن يصدِّقه الموحدون إذا زعم أن خطه على الرمل آية من الله، أو أن خطه موافق لخط ذاك النبي!.

ولا يجوز الاستدلال بالحديث المذكورعلى أن علم الرمل ثبت عن إدريس عليه السلام وأنه المعلم الأول لهذا العلم لأنه من معجزاته، وإنما هذا دليل على بطلان هذا العلم وعلى تحريم هذه الصناعة ولا يدل على إباحتها مطلقًا؛ قال الخطابي رحمه الله في معالم السنن» (2 / 374) بعد سرد هذا الحديث: «يحتمل أن يكون معناه الزجر عنه؛ إذ كان من بعده لا يوافق خطه، ولا ينال حظه من الصواب؛ لأن ذلك إنما كان آية لذلك النبي، فليس لمن بعده أن يتعاطاه طمعًا في نيله».[1]

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه للحديث: «اختلف العلماء في معناه، والصحيح أن معناه: من وافق خطه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة؛ فلا يباح.

والمقصود: أنه حرام؛ لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي ﷺ (فمن وافق خطه فذاك) ولم يقل: هو حرام بغير تعليق على الموافقة؛ لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي، مع بيان الحكم في حقنا، والمعنى: أن ذلك النبي لا منع في حقه، وكذا لو علمتم موافقته، ولكن لا علم لكم بها.

---

1. انظر معالم السنن – المؤلف: أبو سليمان الخطابي؛ المحقق: محمد راغب الطباخ.

وقال القاضي عياض: «المختار: إنَّ من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول، لأنه أباح ذلك لفاعله»، قال: «ويحتمل أن هذا نسخ في شرعنا». ثم قال النووي: «فحصل من مجموع كلام العلماء فيه: الاتفاق على النهي عنه الآن».[1]

وقال ابن خلدون في «مقدمته»: «ليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصيل لديه؛ لأن معنى الحديث: كان نبي يخط فيأتيه الوحي عند ذلك الخط، ولا استحالة أن يكون ذلك عادة لبعض الأنبياء، (فمن وافق خطه فهو ذاك)، أي: فهو صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبي الذي عادته أن يأتيه الوحي عند الخط، وأما إذا أخذ ذلك من الخط مجردًا من غير موافقة وحي فلا».[2]

جاء في كتاب الفتاوى الحديثية لشهاب الدين أحمد بن حجر: «تعلم الرمل وتعليمه حرام شديد التحريم، وكذا فعله؛ لما فيه من إيهام العوام أن فاعله يشارك الله في غيبه وما استأثر بمعرفته».[3]

والحديث المذكور في مسلم يجب أن يحل على ما يطابق القرآن، وما اتفق عليه إجماع أهل السنة، وذلك بأن يحمل على الإنكار، لا الإخبار؛ لأن الحديث خرج جوابًا على سؤال من اعتقد علم الخط على ما اعتقدت العرب، فكان جوابه ﷺ بأن ذلك من خواص علوم الأنبياء بما يقتضي الإنكار على من يتشبه به من الناس، إذ هو من خصوصياتهم، ومعجزاته الدالة على النبوة، فهو كلام ظاهره الخبر، والمراد به الإنكار، ومثله في القرآن والسنة كثير.

---

1. كتاب المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المعروف بشرح صحيح مسلم، أو شرح النووي على مسلم، (5 / 23).
2. المقدمة هو كتاب ألفه ابن خلدون سنة 1377م كمقدمة لمؤلفه الضخم الموسوم كتاب العبر (الاسم الكامل للكتاب هو كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر). واعتبرت المقدمة مؤلفًا منفصلًا ذي طابع موسوعي. فيها جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعمران والاجتماع والسياسة والطب.
3. انظر «الفتاوى الحديثية» لابن حجر الهيتمي (ص 117، 118).

أو يحمل على أنه علّق الحل بالموافقة بخط ذلك النبي، وهي غير واقعة في
الفاعل، إذ لا دليل عليها إلا بخبر معصوم، وذلك لم يوجد، فبقي النهي على حا
لأنه علق الحل بشرط، ولم يوجد، وهذا أولى من الأول.

أو يحمل على أنه أراد: فمن وافق خطه فذاك الذي تجدون إصابته، لأنه يريد
إباحة ذلك لفاعله على ما تأوله بعضهم، وهذا يدل على أنه ليس على ظاهره، وإ
لوجب لمن وافق خطه أن يعلم علم المغيبات التي كان يعلمها ذلك النبي، وأ
بها في خطه من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم، وحينئذ يلزم مساواته له في
النبوة، فلما بطل حمله له على ظاهره لزم تأويله، وعلم أن الله تعالى خص ذلك
النبي عليه السلام بالخط، وجعله علامة لما يأمره به وينهاه عنه، كما جعل لنو
عليه السلام من فور التنور علامة الغرق لقومه، وفقد الحوت علامة لموسى عن
لقاء الخضر عليه السلام، وما في سورة الفتح علامة لنبينا ﷺ على حضور أجله
ومثله كثير. (انتهى)

والخلاصة هو بطلان ما عليه الناس من الخط على الرمل بعد النبي إدريس.
وينبغي أن يعلم في هذا المقام أن الأنبياء لا يدعون علم الغيب، ولا يخبرون الناس
أنهم يعلمون الغيب، وما أخبروا الناس به من الغيب إنما هو من إيحاء الله إليهم فلا
ينسبونه إلى أنفسهم، كما قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا
(٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)﴾
[الجن: 26 - 27]؛ لأن الغيب مما اختص الله بعلمه، فلا يدعيه أحد لنفسه إلا كان
مدعيًا لبعض خصائص الربوبية.

2

ذكر إدريس عليه السلام عند أهل التفاسير والسير والتأريخ

- ذكره في كتب التفاسير.
- ذكره في كتب التأريخ والسير والقصص الإسلامى.
- تسابيح إدريس عليه السلام؛
- الفرق بين إلياس وإدريس
- إدريس النبي عليه السلام وأسطورة أوزوريس.
- وفاته ورفعه إلى السماء.

ذكره في كتب التفاسير

١. في تفسير القرآن العظيم لابن كثير:

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: هذا ذكر إدريس، عليه السلام، بالثناء عليه، بأنه كان صدِّيقًا نبيًا، وأن الله رفعه مكانًا عليًا. وقد تقدم في الصحيح: أن رسول الله ﷺ مر به في ليلة الإسراء وهو في السماء الرابعة.

وروى ابن جرير هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا، فقال: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، أخبرني جرير بن حازم، عن سليمان الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعبًا، وأنا حاضر، فقال له: ما قول الله - عز وجل - لإدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ فقال كعب: أما إدريس فإن الله أوحى إليه أني أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحب أن يزداد عملًا فأتاه خليل له من الملائكة فقال: إن الله أوحى إليَّ كذا وكذا، فكلم لي ملك الموت، فليؤخرني حتى أزداد عملًا فحمله بين جناحيه، حتى صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرًا، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري. قال ملك الموت: فالعجب! بعثت وقيل لي: اقبض روح إدريس في السماء الرابعة». فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة، وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قول الله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾.

هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر، عن ابن عباس: أنه سأل كعبًا، فذكر نحو ما

تقدم، غير أنه قال لذلك الملك: هل لك أن تسأله - يعني: ملك الموت - كم بقي من أجلي لكي أزداد من العمل، وذكر باقيه. وفيه: أنه لما سأله عما بقي من أجله، قال: لا أدري حتى أنظر، ثم نظر، قال: إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين، فنظر الملك تحت جناحه إلى إدريس، فإذا هو قد قبض، عليه السلام، وهو لا يشعر به.

ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس: أن إدريس كان خياطًا، فكان لا يغرز إبرة إلا قال: «سبحان الله»، فكان يُمسي حين يُمسي وليس في الأرض أحد أفضل عملًا منه. وذكر بقيته كالذي قبله، أو نحوه.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: إدريس رفع ولم يمت، كما رفع عيسى.

وقال سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: رفع إلى السماء الرابعة.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: رفع إلى السماء السادسة فمات بها. وهكذا قال الضحاك بن مزاحم.

وقال الحسن البصري، وغيره، في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: الجنة.

قال أبي البركات النسفي في تفسيره:

﴿...وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ...﴾

هو أخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بني قابيل. وقولهم (أنه) سمي بـ (إدريس) لكثرة دراسته كتب الله لا يصح. لأنه لو كان

إفعيلًا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد، وهو العلمية وكان منصرفًا، فامتناعه من الصرف دليل العجمة. إنه كان صدّيقًا نبيًا. أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة.

- ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾:

هو شرف النبوة والزلفى عند الله. وقيل معناه رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة.

وقد رآه النبي ﷺ ليلة المعراج فيها.

وعن الحسن: إلى الجنة، لأنه لا شيء أعلى من الجنة.

2. **جاء في تفسير السعدي «تيسير الكريم الرحمن»**

إدريس عليه السلام من الأنبياء الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم فقال: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾**. «أي: اذكر على وجه التعظيم والإجلال، والوصف بصفات الكمال **﴿إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾** جمع الله له بين الصديقية، الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه، واختياره لرسالته.

وقوله تعالى: **﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾**.

اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية على قولين:

القول الأول: أن المقصود بالرفع في الآية: «الرفع المعنوي» أي: رفعناه منزلة عالية ومكانة رفيعة بين الناس، وهي منزلة النبوة التي هي أعلى المنازل والمراتب.

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «**﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾** أي: رفع الله ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة».

قال البيضاوي رحمه الله في تفسيره «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»: (ورفعناه مكانًا عليًا) يعني: شرف النبوة والزلفى عند الله».

وأما القول الثاني: فيرى أن المقصود من الرفع في هذه الآية: «الرفع الجسم الحقيقي»، وهو قول أكثر المفسرين، غير أنهم اختلفوا في المكان الذي رُفع إليه، وسبب الرفع وقصته، كما اختلفوا في موته، هل رفع وقبض، أم بقي حيًا؟

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره جامع البيان: «يعني به: إلى مكان ذي علوّ وارتفاع، وقال بعضهم: رُفع إلى السماء السادسة، وقال آخرون: الرابعة».

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «قال سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال: رفع إلى السماء الرابعة.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال: رفع إلى السماء السادسة فمات بها، وهكذا قال الضحاك بن مُزاحم.

وقال الحسن، وغيره، في قوله: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال: الجنة».

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: «وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية».

وقد وصف ابن جزي في كتابه التسهيل، أنه أي إدريس قد رفع للسماء الرابعة حيًا للحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا عن رحلة الإسراء، وفيه: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾...»..ففي هذا دلالة على كونه في السماء الرابعة، ولا ينافي ذلك الرفعة المعنوية الحاصلة بالنبوة.

وأخرج الألباني في ضعيف الجامع: عن أبي ذر الغفاري عنه:

أول الرسل آدم، وآخرهم محمد، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وأول من خط بالقلم إدريس.

روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي قال: (يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم، ونوح).

أي أن إدريس كان غير عربي بل سرياني اللُغة وهي لُغة كانت قبل ظهور العربية، ولم يكن على الأرض عرب في ذلك الوقت، والعرب كانوا بعد الطوفان فهم من ذرية سام بن نوح، ومنهم قوم عاد وقوم ثمود أصحاب صالح وقوم هود.

ذكر أبو / إسحاق الإسفرايني/ في كتابه الترتيب في أصول الفقه، أنه ليس ثابتًا

من حيث الإسناد أن سيدنا إدريس عليه السلام كان يخيط في بيته، فجاءه ذات مرة إبليس اللعين في صورة إنسان، فكان إدريس يغرز ويخيط، فقال له إبليس: إن الله قادر أن يجعل الدنيا في هذه..و أشار إلى قشرة صغيرة جدًا.

فقال له إدريس إن الله قادر أن يجعل الدنيا في سم هذه الأبرة، وغرزها في عين إبليس اللعين.

وقوله: الله تعالى قادر أن يجعل الدنيا في سم هذه الإبرة، أراد به أن الله تبارك وتعالى قادرٌ أن يصور الدنيا أصغر من سم الإبرة ويجعلها فيها، أو يجعل سم الإبرة أكبر من الدنيا فيجعلها أي الدنيا في سم الابرة، لأن الله تبارك وتعالى على كل شيء قدير، وإنَّما لم يفصل له سيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام الجواب لأنه معاند، ولهذا عاقبه على هذا السؤال بنخس العين.

3.. ذكر قصة إدريس عليه السلام في البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله:

قال ابن كثير رحمه الله:

قال الله تعالى: ﴿ **وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا (٥٦) وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)** ﴾ [مريم: 56 – 57].

فإدريس عليه السلام: قد أثنى الله عليه، ووصفه بالنبوة، والصديقية، وهو خنوخ هذا، وهو في عمود نسب رسول الله، على ما ذكره غير واحد من علماء النسب.

وكان أول بني آدم أُعطي النبوة، بعد آدم وشيث عليهما السلام.

وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم، ثلاثمائة سنة وثماني سنين.

وقال طائفة من الناس: إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي، لما سأل رسول الله، عن الخط بالرمل فقال: « إنه كان نبي يخط به، فمن وافق خطه فذاك ».

ويزعم كثير من علماء التفسير، والأحكام، أنه أول من تكلم في ذلك، ويسمونه هرمس الهرامسة، ويكذبون عليه أشياء كثيرة، كما كذبوا على غيره من الأنبياء، والعلماء، والحكماء، والأولياء.

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ هو كما ثبت في (الصحيحين)، في حديث الإسراء، أن رسول الله ﷺ مر به، وهو في السماء الرابعة.

وقول ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾.

قال إدريس: رفع ولم يمت، كما رفع عيسى، إن أراد أنه لم يمت إلى الآن، ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حيًا إلى السماء ثم قبض هناك، فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار، والله أعلم.

وقال العوفي عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ رفع إلى السماء السادسة، فمات بها.

وهكذا قال الضحاك، والحديث المتفق عليه، من أنه في السماء الرابعة أصح وهو قول مجاهد، وغير واحد.

وقال الحسن البصري: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال إلى الجنة.

وقال قائلون: رفع في حياة أبيه، يرد بن مهلاييل، والله أعلم.

وقد زعم بعضهم، أن إدريس لم يكن قبل نوح، بل في زمان بني إسرائيل.

قال البخاري: ويذكر عن ابن مسعود، وابن عباس، أن إلياس هو إدريس، واستأنسوا في ذلك، بما جاء في حديث الزهري، عن أنس في الإسراء: أنه لما مر به عليه السلام، قال له: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبي الصالح، ولم يقل كما قال آدم، وإبراهيم: مرحبًا بالنبي الصالح، والابن الصالح.

قالوا: فلو كان في عمود نسبه، لقال له كما قال له. وهذا لا يدل، ولا بد لأنه قد لا يكون الراوي حفظه جيدًا. أو لعله قاله له، على سبيل الهضم، والتواضع، ولم ينتصب له في مقام الأبوة، كما انتصب لآدم أبي البشر، وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن، وأكبر أولي العزم، بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

4. قصة إدريس -عليه السلام- في تفسير أبي السعود:

جاء في كتاب: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)؛ لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى عن قصة إدريس عليه السلام:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ وهو سِبطُ شَيْثٍ وجدُّ أبي نوحٍ فإنه نوحُ بنُ لمك بن متوشلح بنِ أُخنوخ، وهو إدريسُ عليه السلام، واشتقاقُه من الدَّرس يُرده منعُ صرفِه. نعم لا يبعُد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبًا من ذلك فلُقِّب به لكثرة دراسته. روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفةً وأنه أولُ من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب، ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾ ملازمًا للصدق في جميع أحوالِه ﴿نَّبِيّاً﴾ خبرٌ آخرُ لكان مخصِّصٌ للأول، إذ ليس كلُّ صدّيق نبيًا.

﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ هو شرفُ النبوة والزُّلفى عند الله عز وجل، وقيل: علوُّ

الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ وقيل: الجنة، وقيل: السماءُ السادسةُ أو الرابعة.

روي عن كعب وغيره في سبب رفعِ إدريسَ -عليه السلام- أنه سُئل ذاتَ يوم في حاجة فأصابه وهَجُ الشمس، فقال: يا رب إني قد مشَيتُ فيها يومًا وقد أصابني منها ما أصابني، فكيف من يحمِلها مسيرةَ خمسِمائة عام في يوم واحد؟[1] اللهم خففْ عنه من ثِقَلها وحرِّها، فلما أصبح المَلَك وجد من خفة الشمس وحرِّها ما لا يُعرف، فقال: يا رب ما الذي قضيت فيه؟

قال: «إن عبدي إدريسَ سألني أن أخففَ عنك حَملَها وحرَّها فأجبتُه».

قال: يا رب اجعل بيني وبينه خُلَةً، فأذِن الله تعالى له فرفعه إلى السماء.

5. **من تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي:**

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً (٥٧)﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾.

قال الزمخشري: وقيل سمي (إدريسُ إدريسَ) لكثرة درسه كتاب الله تعالى؛ وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح؛ لأنه لو كان إفعيلًا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفًا، فامتناعه من الصرف دليل على العجمة؛ وكذلك إبليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون؛ ولا يعقوب من العقب، ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن السكيت؛ ومن لم يحقق ولم يتدرّب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات؛ ويجوز أن يكون معنى إدريس عليه السلام في تلك اللغة قريبًا من ذلك فحسبه الراوي مشتقًا من الدرس. قال الثعلبي والغزنوي وغيرهما: وهو جدّ نوح وهو خطأ؛ وقد تقدّم في «الأعراف» بيانه.

---

1. يقصد الملك الموكل بفلك الشمس.

وكذا وقع في السيرة أن نوحًا عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون؛ والله تعالى أعلم. وكان أوَّل من أعطي النبوَّة من بني آدم، وخط بالقلم. ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن يانش بن شيث بن آدم ﷺ، فالله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال أنس بن مالك وأبو سعيد الخدريّ وغيرهما: يعني السماء الرابعة. وروي ذلك عن النبي ﷺ؛ وقاله كعب الأحبار. وقال ابن عباس والضحاك: يعني السماء السادسة؛ ذكره المهدوي.

قلت: ووقع في البخاري عن شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، الحديث، وفيه: كل سماء فيها أنبياء قد سماهم منهم إدريس في الثانية. وهو وَهَمٌ، والصحيح أنه في السماء الرابعة.

كذلك رواه ثابت البُنَانِيّ عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ؛ ذكره مسلم في الصحيح. وروى مالك بن صعصعة قال: قال النبيّ ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء أتيت على إدريس في السماء الرابعة» خرجه مسلم أيضًا.

قال وهب بن منبه: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة آدمي، وكان إدريس عليه السلام يصوم النهار؛ فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل.

ففعل به ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس؛ وقال له: من أنت!

قال: أنا ملك الموت؛ استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي؛ فقال: إن لي إليك حاجة.

قال: وما هي؟

قال: أن تقبض روحي.

فأوحى الله تعالى إليه أن اقبض روحه؛ فقبضه وردَّها الله إليه بعد ساعة، وقال له ملك الموت: ما الفائدة في قبض روحك؟

قال: لأذوق كرب الموت فأكون له أشدَّ استعدادًا.

ثم قال له إدريس بعد ساعة: إن لي إليك حاجة أخرى. قال: وما هي؟

قال: أن ترفعني إلى السماء فأنظر إلى الجنة والنار؛ فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السموات، فرأى النار فصعق، فلما أفاق قال: أرني الجنة؛ فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرِّك. فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها. فبعث الله تعالى بينهما ملكًا حكمًا، فقال: ما لك لا تخرج؟

قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185] وأنا ذقته، وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: 71] وقد وردتها؛ وقال: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48] فكيف أخرج؟.

قال الله تبارك وتعالى لملك الموت: «بإذني دخل الجنة وبأمري يخرج» فهو حي هنالك فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال النحاس: قول إدريس: «وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ» يجوز أن يكون الله أعلم هذا إدريس، ثم نزل القرآن به.

قال وهب بن منبه: فإدريس تارة يرتع في الجنة، وتارة يعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء.

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ [مريم: 58].

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ يريد إدريس وحده.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يريد إبراهيم وحده. ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب. ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى. فكان لإدريس ونوح شرف القرب من آدم، ولإبراهيم شرف القرب من نوح ولإسماعيل وإسحاق ويعقوب شرف القرب من إبراهيم. ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي إلى الإسلام: ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ بالإيمان. ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ﴾.

وقرأ شبل بن عباد المكي «يتلى» بالتذكير لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل. ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ وصفهم بالخشوع لله والبكاء.

وقد مضى في «سبحان». يقال: بكى يبكي بكاء وبُكى وبُكيًا، إلا أن الخليل قال: إذا قصرت البكاء فهو مثل الحزن؛ أي ليس معه صوت كما قال الشاعر:

بكت عيني وحق لها بكاها　　　وما يغني البكاء ولا العويل

و﴿سُجَّدًا﴾ نصب على الحال ﴿وَبُكِيًّا﴾ عطف عليه.

الثانية: في هذه الآية دلالة على أن لآيات الرحمن تأثيرًا في القلوب. قال الحسن: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ في الصلاة.

وقال الأصم: المراد بآيات الرحمن الكتب المتضمنة لتوحيده وحججه، وأنهم كانوا يسجدون عند تلاوتها، ويبكون عند ذكرها. والمروي عن ابن عباس أن المراد به القرآن خاصة، وأنهم كانوا يسجدون ويبكون عند تلاوته؛ قال الكيا: وفي هذه الآية دلالة من قوله على أن القرآن هو الذي كان يُتلى على جميع الأنبياء، ولو كان كذلك لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام مختصًا بإنزاله إليه.

الثالثة: احتج أبو بكر الرازي بهذه الآية على وجوب سجود القرآن على المستمع والقارئ. قال الكيا: وهذا بعيد، فإن هذا الوصف شامل لكل آيات الله تعالى. وضم السجود إلى البكاء، وأبان به عن طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في تعظيمهم لله تعالى وآياته، وليس فيه دلالة على وجوب ذلك عند آية مخصوصة.

الرابعة: قال العلماء: ينبغي لمن قرأ سجدة أن يدعو فيها بما يليق بآياتها، فإن قرأ سورة السجدة ﴿الٓمٓ تَنزِيلُ﴾ قال: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، المسبحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك. وإن قرأ سجدة «سبحان» قال: اللهم اجعلني من الباكين إليك، الخاشعين لك. وإن قرأ هذه قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، المهديين الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك.

6. قصة إدريس عليه السلام في (تفسير جامع البيان في تفسير القرآن) للطبري:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً (٥٧)﴾[مريم: 56 – 57].

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد في كتابنا هذا إدريس ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً﴾ لا يقول الكذب، ﴿نَّبِيّاً﴾ نوحي إليه من أمرنا ما نشاء ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ ذكر أن الله رفعه وهو حيٌّ إلى السماء الرابعة، فذلك معنى قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ يعني به إلى مكان ذي علوٍّ وارتفاع.

وقال بعضهم: رُفع إلى السماء السادسة. وقال آخرون: الرابعة.

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: إدريس رُفع فلم يمت، كما رُفع عيسى.

عن مجاهد، مثله، إلا أنه قال: ولم يمت.

عن ابن عباس ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: رفع إلى السماء السادسة، فمات فيها.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ إدريس أدركه الموت في السماء السادسة.

عن مجاهد ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: السماء الرابعة.

عن أبي سعيد الخدري ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: في السماء الرابعة.

عن أبي هريرة أو غيره «شكَّ أبو جعفر الرازي» قال: لما أسري بالنبيّ ﷺ صعد به جبريل إلى السماء الرابعة، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معه؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل، قال: هذا إدريس رفعه الله مكانًا عليًا.

عن قتادة، في قوله ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: حدثنا أنس بن مالك أن نبيّ الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال: أتيت على إدريس في السماء الرابعة.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ [مريم: 58].

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين اقتصصتُ عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذريه آدم، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفُلك، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته

واجتبينا: يقول: وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عني به من ذرية آدم إدريس، والذي عني به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عني به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عني به من ذرية إسرائيل موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جدّ نوح.

وقوله تعالى ذكره: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يقول: إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه، خرّوا لله سجدًا، استكانة له وتذللًا وخضوعًا لأمره وانقيادًا، ﴿وبكيا﴾ يقول: خرُّوا سُجدًا وهم باكون، والبُكيُّ: جمع باك، كما العُتيّ جمع عات والجُثيّ: جمع جاث، فجمع وهو فاعل على فعول، كما يجمع القاعد قعودًا، والجالس جلوسًا، وكان القياس أن يكون: وبُكوّا وعتوّا، ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياءً، كما قيل في جمع دلو أدل. وفي جمع البهو أبه، وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو، فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد الضمة استثقالًا، وفي ذلك لغتان مستفيضتان، قد قرأ بكلّ واحدة علماء من القرّاء بالقرآن بكيًّا وعتوًّا بالضم، وبكيًّا وعتيًّا بالكسر. وقد يجوز أن يكون البكيّ هو البكاء بعينه.

7. قصة إدريس عليه السلام في خواطر إيمانية للشيخ محمد متولي الشعراوي:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾

ما زال القرآن يعطينا لقطاتٍ من موكب الرسالات والنبوات. وإدريس عليه السلام أوّل نبي بعد آدم عليه السلام، فهو إدريس بن شيث بن آدم. وبعد إدريس جاء نوح ثم إبراهيم، ومنه جاءت سلسلة النبوات المختلفة.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 56].

صِدِّيق: من مادة صدق، ومعناها: تكلَّم بواقع؛ لأن الكذب أنْ يتكلَّم بغير واقع. وهذا يُسمَّى: صادق في ذاته، أما قولنا: صِدِّيق أي: مبالغة في الصدق، فقد بلغ الغاية في تصديق ما يأتي من الحق تبارك وتعالى، فهو يطيع ويُذعِن ولا يناقش، كما رأينا من أم موسى عليه السلام لما قال لها الحق سبحانه:

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ [القصص: 7].

بالله، أي أم، يمكن أن تُصدِّق هذا الكلام، وتنصاع لهذا الأمر؟ وكيف تُنجِّي ولدها من شر أو موت مظنون بموت مُحقَّق؟

إذن: فهذا كلام لا يُصدَّق، وفوق نطاق العقل عند عامة الناس، أما في موكب الرسالات فالأمر مختلف، فساعة أنْ سمعتْ أم موسى هذا النداء لم يساورها خاطر مخالف لأمر الله، ولم يراودها شَكٌّ فيه؛ لأن وارد الله عند هؤلاء القوم لا يُعارض بوارد الشيطان أبدًا، وهذه قضية مُسلَّمة عند الرسل.

إذن: الصِّدِّيق هو الذي بلغ الغاية في تصديق الحق، فيورثه الله شفافية وإشراقًا بحيث يهتدي إلى الحق ويُميّزه عن الباطل من أول نظرة في الأمر ودون بحث وتدقيق في المسألة؛ لأن الله تعالى يهبُكَ النور الذي يُبدّد عندك غيامات الشك، ويهبك الميزان الدقيق الذي تزنُ به الأشياء، كما قال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[الأنفال: 29].

ومن هنا سُمّي أبو بكر رضي الله عنه صِدِّيقًا، ليس لأنه صادق في ذاته، بل لأنه يُصدِّق كل ما جاءه من رسول الله ﷺ؛ لذلك لما أخبروه خبر الإسراء والمعراج الذي كذَّب به كثيرون، ماذا قال؟ قال: «إنْ كان قال فقد صدق».

فالأمر عنده متوقف على مجرد قول رسول الله، فهذا هو الميزان عنده، وطالما

أن رسول الله قد قال فهو صادق، هكذا دون جدال، ودون مناقشة، ودون بحث في ملابسات هذه المسألة؛ لذلك من يومها وهو صدِّيق عن جدارة.

والسيدة مريم قال عنها الحق تبارك وتعالى:

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: 75] فسماها صديقة؛ لأنها صدَّقتْ ساعة أنْ قال لها الملَك:

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: 19].

فوثقتْ بهذه البشارة، وأخذتْها على أنها حقيقة واقعة، فلما جاء الوليد أشارت إليه وهي على ثقة كاملة ويقين تام أنه سينطق ويتكلم.

إذن: فالصِّديق ليس هو الذي يَصدُق، بل الذي يُصدِّق. وهكذا كان خليل الله إبراهيم (صدِّيقًا) وكان أيضًا (نبيًا) لأن الإنسان قد يكون صدِّيقًا يعطيه الله شفافية خاصة، وليس من الضروري أن يكون نبيًا، كما كانت مريم صِدِّيقة وأبو بكر صِدِّيقًا. فهذه إذن صفة ذاتية إشراقية من الله، أما النبوة فهي عطاء وتشريع يأتي من أعلى، وهُدى يأتي من السماء يحمل النبي مسؤوليته؟

فالصِّدِّيق هو الذي يبالغ في تصديق ما جاءه من الحق، فيجعل الله له بذلك فُرقانًا وإشراقًا يُميِّز به الحق فلا يتصادم معه شيطان؛ لأن الشيطان قد ينفذ إلى عقلي وعقلك.

أما الوارد من الحق سبحانه وتعالى فلا يستطيع الشيطان أن يعارضه أو يدخل فيه، لذلك فالصِّدِّيق وإن لم يكُنْ نبيًا فهو مُلحقٌ بالأنبياء والشهداء، كما قال تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

وكذلك كان إدريس عليه السلام (نبيًا) ولم يقُلْ: رسولًا نبيًا، لأن بينه وبين آدم عليه السلام جيلين، فكانت الرسالة لآدم ما زالت قائمة.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾

مكانًا عاليًا في السماء، رِفْعه معنوية، أو رِفْعة حِسّية، خُذْها كما شئتَ، لكن إياك أنْ تجادل: كيف رفعه؟ لأن الرِّفْعة من الله تعالى، والذي خلقه هو الذي رفعه.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [مريم: 58].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي: الذين تقدَّموا وسبق الحديث عنهم من الأنبياء والرسل ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أي: مباشرة مثل إدريس عليه السلام ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ الذين جاءوا بعد إدريس مباشرة﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: الذين جاءوا بعد نوح.

وقد انقسموا إلى فرعين من ذرية إبراهيم.

الأول: فرع إسحق الذي جاء منه جمهرة النبوة، بداية من يعقوب، ثم يوسف، ثم موسى وهارون، ثم داود وسليمان، ثم زكريا ويحيى، ثم ذو الكفل، ثم أيوب، ثم ذو النون.

والفرع الآخر: فرع إسماعيل عليه السلام الذي جاء منه جماع جواهر النبوة، وهو محمد ﷺ.

8. قصة إدريس عليه السلام في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً (٥٧)﴾.

[مريم: 56 – 57]

إدريس: اسم جعل علمًا على جد أبي نوح، وهو المسمى في التوراة (أُخنُوخ).

فنوح هو ابن لامك بن مَتُوشالح بن أُخنوخ، فلعل اسمه عند نسّابي العرب إدريس،

أو أن القرآن سماه بذلك اسمًا مشتقًا من الدرس لما سيأتي قريبًا. واسمه (هرمس) عند اليونان، ويُزعم أنه كذلك يُسمىَّ عند المصريين القدماء، والصحيح أن اسمه عند المصريين (تُوت) أو (تحُوتي) أو (تهوتي) لهجات في النطق باسمه.

وذكر ابن العِبْري في «تاريخه»: «أن إدريس كان يلقب عند قدماء اليونان (طريسمجيسطيس)، ومعناه بلسانهم ثلاثي التعليم، لأنه كان يصف الله تعالى بثلاث صفات ذاتية وهي الوجود والحكمة والحياة» اهـ.

ولا يخفى قرب الحروف الأولى في هذا الاسم من حروف إدريس، فلعل العرب اختصروا الاسم لطوله فاقتصروا على أوله مع تغيير.

وكان إدريس نبيًا، ففي الإصحاح الخامس من سفر التكوين «وسار أُخنوخ مع الله». قيل: هو أول من وضع للبشر عمارة المدن، وقواعد العلم، وقواعد التربية، وأول من وضع الخط، وعلّم الحساب بالنجوم وقواعدَ سير الكواكب، وتركيب البسائط بالنّار فلذلك كان علم الكيمياء ينسب إليه، وأوّل من علم الناس الخياطة. فكان هو مبدأ من وضع العلوم، والحضارة، والنظم العقليّة.

فوجه تسميته في القرآن بإدريس أنّه اشتق له اسم من الفرس على وزن مناسب للأعلام العجميّة، فلذلك منع من الصرف مع كون حروفه من مادة عربية، كما منع إبليس من الصرف، وكما منع طالوت من الصرف.

والصدِّيق بتشديد الدال صيغة مبالغة في الاتصاف، مثل الملك الضِّليل لقب امرئ القيس، وقولهم: رجل مِسِّيك: أي شحيح، ومنه طعام حرّيف، ويقال دليل خِرّيت، إذا كان ذا حذق بالطرق الخفية في المفاوز، مشتقًا من الخَرت وهو ثقب الشيء كأنه يثقب المسدودات ببصره. وتقدم في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: 46].

وصف.. بالصدِّيق لفرط صدقه في امتثال ما يكلفه الله تعالى لا يصده عن ذلك

ما قد يكون عذرًا للمكلف..فالصدق هنا بمعنى بلوغ نهاية الصفة في الموصوف بها، كما في قول تأبط شرًا:

إنــي لمهـد مــن ثنائـي فقـاصد ... به لابن عم الصدق شمس بن مالك

وتأكيد هذا الخبر بحرف التوكيد وبإقحام فعل الكون للاهتمام بتحقيقه زيادة في الثناء عليه.

وجملة ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾ واقعة موقع التعليل للاهتمام بذكره في التلاوة، وهذه الجملة معترضة بين المبدل منه والبدل

والنبي: فعيل بمعنى مفعول، من أنبأه بالخبر. والمراد هنا أنه منبأ من جانب الله تعالى بالوحي. والأكثر أن يكون النبي مرسلًا للتبليغ، وهو معنى شرعي، فالنبي فيه حقيقة عرفية. وتقدم في سورة البقرة (246) عند قوله:

﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً﴾ [البقرة: 246] .

وقرأ الجمهور (نبيًا) بياء مشددة بتخفيف الهمزة ياء لثقلها ولمناسبة الكسرة

وقرأه نافع وحده (نبيئًا) بهمزة آخره، وبذلك تصير الفاصلة القرآنية على حرف الألف، ومثل تلك الفاصلة كثير في فواصل القرآن.

وقوله ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾

قال جماعة من المفسرين: هو رفع مجازي. والمراد: رفع المنزلة، لما أوتيه من العلم الذي فاق به على من سلفه. ونقل هذا عن الحسن.وقال به أبو مسلم الأصفهاني.

وقال جماعة: هو رفع حقيقي إلى السماء، وفي الإصحاح الخامس من سفر التكوين «وسار أخنوخ مع الله ولم يُوجد لأنّ الله أخذه»، وعلى هذا فرفعه مثل رفع

عيسى - عليه السلام -. والأظهر أن ذلك بعد نزع روحه ورَوْحنة جثته. ومما يذكر عنه أنه بقي ثلاث عشرة سنة لا ينام ولا يأكل حتى تَرَوْحَن، فرفع.

وأما حديث الإسراء فلا حجة فيه لهذا القول لأنه ذكر فيه عدة أنبياء غيره وجدوا في السماوات. ووقع في حديث مالك بن صعصعة عن الإسراء بالنبي - ﷺ - إلى السماوات أنه وجد إدريس - عليه السلام - في السماء وأنه لمَّا سلَّم عليه قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. فأخذ منه أنّ إدريس - عليه السلام - لم تكن له ولادةٌ على النبي - ﷺ - لأنه لم يقل له والابن الصالح، ولا دليل في ذلك لأنه قد يكون قال ذلك اعتبارًا بأخوّة التوحيد فرجحها على صلة النسب فكان ذلك من حكمته.

على أنّه يجوز أن يكون ذلك سهوًا من الراوي فإن تلك الكلمة لم تثبت في حديث جابر بن عبدالله في «صحيح البخاري». وقد جزم البخاري في أحاديث الأنبياء بأن إدريس جدُّ نوح أو جدُّ أبيه. وذلك يدلُّ على أنّه لم ير في قوله «مرحبًا بالأخ الصالح» ما يُنافي أن يكون أبًا للنبي - ﷺ -.

9. قصة إدريس عليه السلام من التفسير الكبير للطبراني:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً (٥٧)﴾.

[مريم: 56 - 57]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾؛ اسمُ إدريسَ أَخْنُوخَ، وهو جدُّ أبي نوحٍ، وسُمي إدريس لكثرةِ دَرْسِهِ الكتبَ، وكان خَيَّاطًا وهو أولُ من خطَّ بالقلمِ، وهو أولُ من خاطَ الثيابَ ولبس المخيطَ، وأولُ من نَظَرَ في علمِ النُّجوم والحساب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾ أنزلت عليه ثلاثون صحيفةً، وهو أولُ من لبسَ القطنَ، وكانوا قبلَ ذلك يلبسونَ جلود الضَّأنِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ رُوي عن أنسِ بن مالك، وأبي سعيدٍ الخدريِّ ومجاهد: (أنَّهُ رُفِعَ إلى السَّماءِ الرَّابعَةِ)، وقال ابنُ عبَّاس والضحَّاك: (إلى السَّماءِ السَّادِسَةِ).

وَقِيلَ: معناهُ: ورفعناهُ في العلمِ والنبوَّة إلى درجةٍ عالية. وروي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَمَّا عُرِجَ بي رَأيْتُ إدْرِيْسَ فِي السَّمَاءِ الرَّابعَةِ».

وكان سببُ رفعهِ على قولِ ابنِ عبَّاس: (أنهُ سارَ ذات يوم في حاجتهِ فأصابهُ وَهَجُ الشمسِ، فقال: يا رب إنِّي مشيتُ يومًا واحدًا، فكيفَ بمن حملَها خمسمائة عام في يوم واحد، اللَّهُمَّ خفِّفْ عنهُ من ثقلها واحملْ عنهُ حرَّها، فلما أصبحَ الملكُ المُوَكَّلُ بها وجدَ خِفَّةً في حرِّها بخلافِ ما يعرف، فقال: يا رب ما الذي قضيتَ؟ فقال: إنَّ عبدي إدريسَ سألَني أن أخفِّفَ عنكَ حملَها وحرَّها فأجبتهُ، فقال: يا رب اجْمَعْ بيني وبينَهُ صحبةً فأذنَ له حتى أتى إلى إدريسَ، فسألَهُ عن ذلك فأخبرَهُ أنه دعا له شفقةً عليهِ، ثم حملَهُ مَلَكُ الشمسِ على جناحهِ، ورفعه إلى السَّماء بإذنِ الله تعالى).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾؛ معناهُ: إن الذينَ ذكرتُهم هم الذينَ أكرَمَهم اللهُ بالنبوَّة والإسلام من ذريَّة آدمَ، وإنَّما قَرَنَ ذكرَ نَسَبِهِمْ مع أنَّ كلَّهم كانوا لآدمَ لِيُبَيِّنَ مراتبَهم في شرفِ النسب، فإنهُ كان لإدريسَ شرفُ القُرْبِ من آدمَ، وكان إبراهيمُ من ذريَّة نوحٍ، وكان إسماعيلَ وإسحاقُ من ذريَّة إبراهيمَ، وكان موسى وهارون وزكريَّا ويحيى وعيسَى من ذريَّة إسرائيلَ، فقولهُ: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ يعني إدريسَ ونوح، ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛ في السفينة

يعني إبراهيم؛ لأنه من ولدِ سام بن نوحٍ، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وقوله، ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾؛ يعني أنَّ من ذريَّة إسرائيل: موسى وهارون ومَن ذكرناهُ.

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾؛ أي هؤلاء كانوا مِمَّن أرشدنا واصطفينا لِأداءِ الرِّسالَة، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ﴾؛ التي أُنزلت عليهم، ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾؛ أي وَقَعُوا يسجدونَ للهِ تعالى، ويبكونَ من مخافةِ الله، والسُّجَّدُ: جمعُ ساجدٍ، والبُكِيُّ جمعُ بَاكٍ.

10. قصة إدريس عليه السلام في تفسير زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)﴾

وقال أيضًا: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيه أربعة أقوال.

أحدها: أنه في السماء الرابعة، روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ في حديث المعراج: أنه رأى إدريس في السماء الرابعة، وبهذا قال أبو سعيد الخدريّ، ومجاهد، وأبو العالية.

والثاني: أنه في السماء السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.

والثالث: أنه في الجنة، قاله زيد بن أسلم، وهذا يرجع إلى الأول، لأنه قد روي أن الجنة في السماء الرابعة.

والرابع: أنه في السماء السابعة، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

وفي سبب صعوده إلى السماء ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه كان يصعد له من العمل مِثْلُ ما يصعد لجميع بني آدم، فأحبَّه مَلَك الموت، فاستأذن اللهَ في خُلَّته، فأذن له، فهبط إليه في صورة آدمي، وكان يصحبه فلما عرفه، قال إنِّي أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تذيقني الموت، فلعلِّي أعلم ما شدَّته فأكون له أشدّ استعدادًا؛ فأوحى الله إليه أن اقبض روحه ساعةً ثم أرْسِله، ففعل، ثم قال: كيف رأيتَ؟ قال: كان أشدَّ مما بلغني عنه، وإني أُحب أن ترِيَني النار، قال: فحمله، فأراه إيّاها؛ قال: إني أُحِبُّ أن ترِيَني الجنة، فأراه إياها، فلما دخلها وطاف فيها، قال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج حتى يكون الله تعالى يُخرجني؛ فبعث الله مَلَكًا فحكم بينهما، فقال: ما تقول يا مَلَك الموت؟ فقصَّ عليه ما جرى؛ فقال: ما تقول يا إدريس؟ قال: إن الله تعالى قال:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185]، وقد ذُقْتُه، وقال:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: 71]، وقد وردتُها، وقال لأهل الجنة:

﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48]، فوالله لا أخرج حتى يكون الله يُخرجني؛ فسمع هاتفًا من فوقه يقول: باذني دخل، وبأمري فعل، فخلِّ سبيله؛ هذا معنى ما رواه زيد بن أسلم مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

فإن سأل سائل فقال: من أين لإدريس هذه الآيات، وهي في كتابنا؟! فقد ذكر ابن الأنباري عن بعض العلماء، قال: كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورود، وامتناع الخروج من الجنة، وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم.

والثاني: أن ملَكًا من الملائكة استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس، فأذن له، فلما عرفه إدريس، قال: هل بينك وبين ملك الموت قرابة؟ قال: ذاك أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفعني عند ملك الموت؟ قال سأكلمه فيك، فيرفق بك، اركب بين جناحيّ، فركب إدريس، فصعد به إلى السماء، فلقي ملك الموت، فقال: إن لي إليك حاجة، قال: أعلم ما حاجتك، تكلمني في إدريس وقد محى اسمه من الصحيفة ولم

يبق من أجله إلا نصف طرفة عين؟! فمات إدريس بين جناحي الملك، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال أبو صالح عن ابن عباس: فقبض ملك الموت روح إدريس في السماء السادسة.

والثالث: أن إدريس مشى يومًا في الشمس، فأصابه وهجها، فقال: اللهم خفف ثقلها عمّن يحملها، يعني به الملك الموكَّل بالشمس، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرِّها مالا يعرف، فسأل الله عز وجل عن ذلك، فقال: إن عبدي إدريس سألني أن أخفِّف عنكَ حِملها وحرَّها، فأجبْتُه.

فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيننا خُلَّة، فأذِن له، [فأتاه]، فكان مما قال له إدريس: اشفع لي إلى ملك الموت ليؤخِّر أجلي.

فقال: إن الله لا يؤخِّر نفسًا إذا جاء أجَلُها، ولكن أُكلِّمه فيك، فما كان مستطيعًا أن يفعل بأحد من بني آدم فعل بك، ثم حمله الملك على جناحه، فرفعه إلى السماء، فوضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملكَ الموت فقال: إن لي إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفَّعَ بي إليك لتؤخِّر أجلَه، قال: ليس ذاك إليَّ، ولكن إن أحببتَ أعلمتُه متى يموت، فنظر في ديوانه، فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبدًا، ولا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس.

فقال: إني أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق، فما أراك تجده إلا ميتًا، فوالله ما بقي من أجله شيء، فرجع الملك فرآه ميتًا.

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس وكعب في آخرين. فهذا القول والذي قبله يدلَّان على أنه ميت، والقول الأول يدل على أنه حيّ.

١١. قصة إدريس عليه السلام في تفسير نظم الدرر للإمام البقاعي:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧)

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾. [مريم: 56 - 59]

ولما كان إسماعيل عليه السلام قد رفع بالسكنى حيًا إلى أعلى مكان في الأرض رتبة، وكان أول نبي رمى بالسهام، وكان إدريس عليه السلام - مع رفعته إلى المكان العلي - أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم النجوم والحساب، وخط بالقلم، وخاط الثياب ولبس الجبة وكان أغربهم قصة، وأعجبهم أمرًا، وأقدمهم زمنًا، ختم به هذه القصص تأييدًا لهذا النبي الكريم، بما بين له من القصص التي هي أغرب مما أمر اليهود بالتعنت فيه، وإشارة إلى أن الله تعالى يؤتي أتباعه من علوم إدريس الأرضية والسماوية مما يستحق أن يحفظ بالخط ويودع بطون الكتب لضيق الصدور عن حفظه ما لم يؤته أمة من الأمم، وأنه يجمع شملهم، وترهيبًا للمتعنتين بأنهم إن لم ينتهوا وضع فيهم السلاح كما فعل إدريس عليه السلام بكفار زمانه فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي الجامع لكل ما يحتاج إليه من القصص المتقدمين والمتأخرين ﴿إِدْرِيسَ﴾ أي الذي هو أبعد ممن تعنت بهم اليهود زمانًا، وأخفى منهم شأنًا، وهو جد أبي نوح عليه السلام واسمه حنوخ بمهملة ونون وآخره معجمة ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ أي صادقًا في أقواله وأفعاله، ومصدقًا بما أتاه عن الله من آياته على ألسنة الملائكة ﴿نَّبِيًّا﴾ ينبئه الله تعالى بما يوحيه إليه من الأمر العظيم، رفعة لقدره، فينبىء به الناس الذين أرسل إليهم ﴿وَرَفَعْنَاهُ﴾ جزاء منا له على تقواه وإحسانه، رفعة تليق بعظمتنا، فأحللناه ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾أي الجنة أو السماء الرابعة، وهي التي رآه النبي ﷺ بها ليلة الإسراء.

قال ابن قتيبة في المعارف: وفي التوراة أن أحنوخ أحسن قدام الله فرفعه إليه -

انتهى. وفي نسخة ترجمة التوراة وهي قديمة جدًا وقابلتها مع بعض فضلاء الربانيين من اليهود وعلى ترجمة سعيد الفيومي بالمعنى وكان هو القارئ ما نصه: وكانت جميع حياة حنوخ ثلاثمائة وخمسًا وستين سنة، فأرضى حنوخ الله ففقد لأن الله غيبه، وفي نسخة أخرى: لأن الله قبله.

وفي أخرى: لأن الله أخذه. وهو قريب مما قال ابن قتيبة، لأن أصل الكلام عبراني، وإنما نقله إلى العربي المترجمون، فكل ترجم على قدر فهمه من ذلك اللسان، ويؤيد أن المراد الجنة ما في مجمع الزوائد للحافظ نور الدين الهيثمي عن معجمي الطبراني - الأوسط والأصغر إن لم يكن موضوعًا: حدثنا محمد بن واسط حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي حدّثنا حجاج بن محمد بن أبي غسان محمد ابن مطرف عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن أبي رافع عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«إن إدريس عليه السلام كان صديقًا لملك الموت فسأله أن يريه الجنة والنار، فصعد بإدريس فأراه النار ففزع منها، وكاد يغشى عليه فالتف عليه ملك الموت بجناحه، فقال ملك الموت: أليس قد رأيتها؟ قال: بلى! ولم أر كاليوم قط، ثم انطلق به حتى أراه الجنة فدخلها فقال له ملك الموت: انطلق! قد رأيتها، قال: إلى أين؟ قال ملك الموت: حيث كنت، قال إدريس: لا والله! لا أخرج منها بعد إذ دخلتها، فقيل لملك الموت: أليس أنت أدخلته إياها وأنه ليس لأحد دخلها أن يخرج منها».

وقال: لا يروى عن أم سلمة إلا بهذا الإسناد، وقال الحافظ نور الدين: إبراهيم المصيصي متروك. قلت: وفي لسان الميزان لتلميذه شيخنا حافظ العصر ابن حجر عن الذهبي أنه كذاب، وعن ابن حبان أنه كان يسوي الحديث، أي يدلس تدليس التسوية.

وفي تفسير البغوي عن وهب قريب من هذا، وفيه أنه سأل ملك الموت أن يقبض روحه ويردها إليه بعد ساعة، فأوحى الله إليه أن يفعل، وفيه أنه احتج في امتناعه من

الخروج بأن كل نفس ذائقة الموت وقد ذاقه، وأنه لا بد من ورود النار وقد وردها، وأنه ليس أحد يخرج من الجنة، فأوحى الله إلى ملك الموت: بإذني دخل الجنة - يعني: فخلِّ سبيله - فهو حي هناك.

وفي تفسير البغوي أيضًا عن كعب وغيره أن إدريس عليه السلام مشى ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال: يا رب! فكيف بمن يحملها؟ اللهم! خفف عنه من ثقلها، فخفف عنه فسأل ربه عن السبب فأخبره فسأل أن يكون بينهما خلة، فأتاه فسأله إدريس عليه السلام أن يسأل ملك الموت أن يؤخر أجله، فقال: لا يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها، وأنا مكلمه، فرفع إدريس عليه السلام فوضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت وكلمه فقال: ليس ذلك إليّ، ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيتقدم في نفسه، قال: نعم! فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبدًا، قال: وكيف ذلك؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: فإني أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات، فوالله ما بقي من أجل إدريس - عليه السلام - شيء، فرجع الملك فوجده ميتًا.

ومن جيد المناسبات أن إسماعيل وإدريس عليهما الصلاة والسلام اشتركا في البيان بالعلم واللسان، فإسماعيل عليه السلام أول من أجاد البيان باللسان، وإدريس عليه السلام أول من أعرب الخطاب بالكتاب، فقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أول من فتق لسانه بهذه العربية إسماعيل عليه السلام»

ولأحمد عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام».

ولما انقضى كشف هذه الأخبار، العلية المقدار، الجليلة الأسرار، شرع سبحانه بنسب أهلها بأشرف نسبهم، ويذكر أمتن سببهم عزًا لمن وافقهم في النسب إلى

الموافقة في السبب فقال: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي العالو الرتب، الشرفاء النسب ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بما له من صفات الكمال التي بها أقام آدم عليه السلام وهم في ظهره
مع ما طبعه عليه من الأمور المتضادة حتى نجاه من مكر إبليس، ونجى بها نوح
عليه السلام وهم في صلبه من ذلك الكرب العظيم، وإبراهيم عليه السلام وهم في
قواه مع اضطرام النار وإطفاء السن وإصلاد العظم، وأعلى بها إسرائيل عليه السلام
وبنيه في سوط الفراق وامتهان العبودية وانتهاك الاتهام حتى كان أبناؤه من
الملوك والأنبياء، ومحل الأتقياء والأصفياء، إلى غير ذلك من جليل الأنبياء وعظ
الأصطفاء والاجتباء ﴿عَلَيْهِم﴾ بما خصهم به من مزيد القرب إليه، وعظيم المنزلة
لديه؛ وبين الموصول بقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي المصطفين للنبوة الذين أنبأهم الله
بدقائق الحكم، ورفع محالهم بين الأمم، وأنبؤوا الناس بجلائل الكلم، وأمروا
بطاهر الشيم.

ولما كانوا بعض بني آدم الذين تقدم أنَّا كرمناهم، قال إشارة إلى ما في ذلك من
النعمة عليهم وهم يرونها: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ صفينا أبي البشر الذي خلقه الله من
التراب بيده، وأسجد له ملائكته، وإدريس أحقهم بذلك.

ولما كان في إنجاء نوح عليه السلام وإغراق قومه من القدرة الباهرة ما لا يخفى
نبّه عليه بنون العظمة في قوله مشيرًا إلى أعظم النعمة عليهم بالتبعيض، وإلى
نبيهم من ذريته كما كان هو من ذرية إدريس عليه السلام الذي هو من ذرية آدم، فكان
كان كل منهم رسولًا فكذلك هو وإبراهيم أقربهم إلى ذلك: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾
صفينا أول رسول أرسلناه بعد افتراق أهل الأرض وإشراكهم، من خلص العباد
وأهل الرشاد، وجعلناه شكورًا، وإبراهيم أقربهم إلى ذلك ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾
خليلنا الذي كان له في إعدام الأنداد ما اشتهر به من فضله بين العباد، وإسماعيل
وإسحاق أولاهم بذلك، ثم يعقوب ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ صفينا، وهم الباقون: موسى
وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم بنت داود – على جميعهم أفضل الصلاة

والسلام – فكما كانوا رسلًا وهم من ذرية إبراهيم الذي هو من ذرية نوح فكذا نبيكم الذي هو من ذرية إسماعيل الذي هو من إبراهيم لصلبه وهو أول أولاده كما كان إسرائيل من ذريته.

فالإرسال من ذرية من هو ابنه لصلبه أولى من الإرسال من ذرية من بينه وبينه واسطة، وإلا كان بنو إسرائيل أشرف منكم وأبوهم أشرف من أبيكم، فلا تردوا الكرامة، يا من يتنافسون في المفاخرة والزعامة ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ إلى أقوم الطرق ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ أي فعلنا بهم فعل من يتخير الشيء وينتقيه بأن أسبغنا عليهم من النعم ما يجل عن الوصف؛ وعطف الأوصاف بالواو إشارة إلى التمكن فيها.. إلخ.

12. **من تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي:**

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً (٥٧)﴾.

[مريم: 56 – 57]

أخرج الحكم عن سمرة قال: كان إدريس أبيض طويلًا ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس، وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى، وكانت في صدره نكتة بيضاء من غير برص، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم في أمر الله، رفعه الله إلى السماء السادسة، فهو حيث يقول ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن إدريس أقدم من نوح، بعثه الله إلى قومه، فأمرهم الله أن يقولوا لا إله إلا الله، ويعملوا بما شاء، فأبوا، فأهلكهم الله.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: كان

إدريس خياطًا. وكان لا يغرز إلا قال: سبحان الله، فكان يمسي حين يمسي وليس في الأرض أحد أفضل منه عملًا، فاستأذن ملك من الملائكة ربه، فقال يا رب ائذن لي فاهبط إلى إدريس. فأذن له، فأتى إدريس فسلم عليه، وقال: إني جئتك لأحدثك، فقال: كيف تحدثني وأنت ملك وأنا إنسان، ثم قال إدريس هل بينك وبين ملك الموت شيء؟ قال الملك: ذاك أخي من الملائكة، فقال: هل يستطيع أن ينسئني عند الموت؟ قال: أما أن يؤخر شيئًا أو يُقَدِّمَهُ فلا، ولكن سأكلمه لك، فيرفق بك عند الموت، فقال: اركب بين جناحي، فركب إدريس، فصعد إلى السماء العليا، فلقي ملك الموت وإدريس بين جناحيه، فقال له الملك إن لي إليك حاجة، قال: علمت حاجتك، تكلمني في إدريس وقد محي اسمه من الصحيفة، ولم يبق من أجله إلا نصف طرفة عين، فمات إدريس بين جناحي الملك.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: رفع إلى السماء السادسة فمات فيها.

وأخرج الترمذي وصححه وابن المنذر وابن مردويه، عن قتادة في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: حدثنا أنس بن مالك، أن نبي الله ﷺ قال: «لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة».

وأخرج ابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - «عن النبي ﷺ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: «في السماء الرابعة»

وأخرج عبد بن حميد، عن مجاهد رضي الله عنه، والربيع مثله.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن مجاهد في الآية قال: رفع إدريس كما رفع عيسى ولم يمت.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند حسن، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إدريس هو إلياس.

وأخرج ابن المنذر، عن عمر مولى غفرة يرفع الحديث إلى النبي - ﷺ - قال: «إن إدريس كان نبيًا تقيًا زكيًا، وكان يقسم دهره على نصفين: ثلاثة أيام يعلم الناس الخير، وأربعة أيام يسيح في الأرض، ويعبد الله مجتهدًا.

وكان يصعد من عمله وحده إلى السماء من الخير مثل ما يصعد من جميع أعمال بني آدم، وإن ملك الموت أحبه في الله، فأتاه حين خرج للسياحة فقال له: يا نبي الله، إني أريد أن تأذن لي في صحبتك.

فقال له إدريس - وهو لا يعرفه - إنك لن تقوى على صحبتي. قال: بلى، إني أرجو أن يقويني الله على ذلك، فخرج معه يومه ذلك حتى إذا كان من آخر النهار مر براعي غنم، فقال ملك الموت لإدريس: يا نبي الله، إنا لا ندري حيث نمسي، فلو أخذنا جفرة من هذه الغنم فأفطرنا عليها؟

فقال له إدريس: لا تعد إلى مثل هذا، تدعوني إلى أخذ ما ليس لنا، من حيث نمسي يأتي الله برزق!

فلما أمسى أتاه الله بالرزق الذي كان يأتيه، فقال لملك الموت: تقدم فكل.

فقال ملك الموت: لا والذي أكرمك بالنبوة ما أشتهي.

فأكل إدريس وقاما جميعًا إلى الصلاة، ففتر إدريس وكلَّ وملَّ ونعس، وملك الموت لا يفتر ولا يمل ولا ينعس، فعجب منه وقال: قد كنت أظن أني أقوى الناس على العبادة فهذا أقوى مني!

فصغرت عنده عبادته عندما رأى منه. ثم أصبحا فساحا، فلما كان آخر النهار مرا بحديقة عنب فقال ملك الموت لإدريس: يا نبي الله، لو أخذنا قطفًا من هذا العنب لأنا لا ندري حيث نمسي. فقال إدريس: ألم أنهك عن هذا وأنت حيث نمسي يأتينا الله برزق!

فلما أمسى أتاه الله الرزق الذي كان يأتيه فأكل إدريس، فقال لملك الموت هلم فكل.

فقال: لا والذي أكرمك بالنبوة يا نبي الله، لا أشتهي. فعجب!

ثم قاما إلى الصلاة ففتر إدريس أيضًا، وكلَّ وملَّ، وملك الموت لا يكلُّ ولا يفترُ ولا ينعسُ. فقال له عند ذلك إدريس: لا والذي نفسي بيده ما أنت من بني آدم! فقال له ملك الموت عنده ذلك: أجل لست من بني آدم. فقال له إدريس: فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت. فقال له إدريس: أمرتَ فيَّ بأمر؟.

فقال له: لو أمرت فيك بأمر ما ناظرتك، ولكني أحبك في الله، وصحبتك له. فقال له إدريس: يا ملك الموت، إنك معي ثلاثة أيام بلياليها لم تقبض روح أحد من الخلق؟ قال: بلى والذي أكرمك بالنبوة يا نبي الله، إني معك من حين رأيت، وإني أقبض نفس من أمرت بقبض نفسه في مشارق الأرض ومغاربها، وما الدنيا عندي إلا بمنزلة المائدة بين يدي الرجل، يمد يده ليتناول منها ما شاء.

فقال له إدريس: يا ملك الموت، أسألك بالذي أحببتني له وفيه ألا قضيت لي حاجة أسألكها؟ فقال له ملك الموت: سلني ما أحببت يا نبي الله.

فقال: أحب أن تذيقني الموت، وتفرق بين روحي وجسدي حتى أجد طعم الموت، ثم ترد إلى روحي. فقال له ملك الموت - عليه السلام -: ما أقدر على ذلك، إلا أن استأذن فيه ربي، فقال له إدريس - عليه السلام - فاستأذنه في ذلك. فعرج ملك الموت إلى ربه، فأذن له، فقبض نفسه وفرق بين روحه وجسده، فلما سقط إدريس عليه السلام ميتًا، رد الله إليه روحه، وطفق يمسح وجهه وهو يقول: يا نبي الله، ما كنت أريد أن يكون هذا حظك من صحبتي! فلما أفاق، قال له ملك الموت: يا نبي الله، كيف وجدت؟ قال: يا ملك الموت، قد كنت أحدث وأسمع، فإذا هو أعظم مما كنت أحدث وأسمع!

ثم قال: يا ملك الموت، أريد منك حاجة أخرى قال: وما هي؟.

قال: تريني النار حتى أنظر إلى لمحة منها.

فقال له ملك الموت: وما لك وللنار، إني لأرجو أن لا تراها، ولا تكون من أهلها، قال: بلى أريد ذلك؛ ليكون أشد لرهبتي وخوفي منها!.

فانطلق إلى باب من أبواب جهنم فنادى بعض خزنتها فأجابوه، وقالوا: من هذا؟ قال: أنا ملك الموت - فارتعدت فرائصهم - قالوا: أمرت فينا بأمر؟ فقال: لو أمرت فيكم بأمر ما ناظرتكم، ولكن نبي الله إدريس - عليه السلام - سألني أن تروه لمحة من النار. ففتحوا له قدر ثقب المخيط فأصابه من حرها ولهبها وزفيرها ما صعق!

فقال ملك الموت: أغلقوا! فأغلقوا، فمسح ملك الموت وجهه وهو يقول: يا نبي الله، ما كنت أحب أن يكون هذا حظك من صحبتي.

فلما أفاق قال له ملك الموت: يا نبي الله، كيف رأيت؟ قال: يا ملك الموت، كنت أحدث وأسمع، فإذا هو أعظم مما كنت أحدث وأسمع! فقال له: يا ملك الموت، قد بقيت لي حاجة أخرى لم يبق غيرها. قال: وما هي؟

قال: تريني لمحة من الجنة. قال له ملك الموت - عليه السلام: يا نبي الله أبشر! فإنك إن شاء الله من خيار أهلها، وأنها إن شاء الله مقيلك ومصيرك. فقال: يا ملك الموت، إني أحب أن أنظر إليها، ولعل ذلك أن يكون أشد لشوقي وحرصي وطلبي!

فذهب به إلى باب من أبواب الجنة، فنادى بعض خزنتها فأجابوه، فقالوا: من هذا؟ قال: ملك الموت. فارتعدت فرائصهم، وقالوا: أمرت فينا بشيء؟ فقال: لو أمرت فيكم بشيء ما ناظرتكم، ولكن نبي الله إدريس - عليه السلام - سأل أن ينظر إلى لمحة من الجنة فافتحوا. فلما فتح أصابه من بردها وطيبها وريحانها ما أخذ بقلبه فقال: يا ملك الموت، إني أحب أن أدخل الجنة فآكل أكلة من ثمارها،

وأشرب شربة من مائها، فلعل ذلك أن يكون أشد لطلبتي ورغبتي وحرصي

فقال: ادخل.

فدخل فأكل من ثمارها، وشرب من مائها. فقال له ملك الموت، اخرج يا نبي الله، قد أصبت حاجتك حتى يردك الله مع الأنبياء يوم القيامة. فاحتضن بساق شجرة من شجر الجنة وقال: ما أنا بخارج منها، وإن شئت أن أخاصمك خاصمتك. فأوحى الله إلى ملك الموت، قاضه الخصومة.

فقال له ملك الموت: ما الذي تخاصمني به يا نبي الله؟ فقال إدريس: قال الله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185]

فقد ذقت الموت الذي كتبه الله على خلقه مرة واحدة. وقال الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِياً﴾ [مريم: 71] وقد وردتها، أفأردها مرة بعد مرة؟

وإنما كتب الله ورودها على خلقه مرة واحدة، وقال لأهل الجنة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48] أفأخرج من شيء ساقه الله إليّ؟ فأوحى الله إلى ملك الموت، خصمك عبدي إدريس، وعزتي وجلالي: إن في سابق علمي قبل أن أخلقه أنه لا موت عليه إلا الموتة التي ماتها، وأنه لا يرى جهنم إلا الورد الذي وردها، وأنه يدخل الجنة في الساعة التي دخلها، وأنه ليس بخارج منها، فدعه يا ملك الموت فقد خصمك وإنه احتج عليك بحجة قوية. فلما قر قرار إدريس في الجنة، وألزمه الله دخولها قبل الخلائق، عجب الملائكة إلى ربهم فقالوا: ربنا خلقتنا قبل إدريس بكذا وكذا، ألف سنة، ولم نعصك طرفة عين، وإنما خلقت إدريس منذ أيام قلائل فأدخلته الجنة قبلنا؟

فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي، إنما خلقتكم لعبادتي وتسبيحي وذكري، وجعلت فيها لذتكم، ولم أجعل لكم لذة في مطعم ولا مشرب ولا في شيء سواها، وقربتكم

عليها، وجعلت في الأرض الزينة والشهوات واللذات والمعاصي والمحارم، وإنه اجتنب ذلك كله من أجلي، وآثر هواي على هواه، ورضاي ومحبتي على رضاه ومحبته، فمن أراد منكم أن يدخل مدخل إدريس فليهبط إلى الأرض، فليعبدني بعبادة إدريس، ويعمل بعمل إدريس، فإن عمل مثل إدريس أدخله مدخل إدريس، وإن غير أو بدل استوجب مدخل الظالمين. فقالت الملائكة: ربنا لا نطلب ثوابًا، ولا تصيبنا بعقاب، رضينا بمكاننا منك يا رب، وفضيلتك إيانا.

وانتدب ثلاثة من الملائكة: هاروت وماروت، وملك آخر رضوا به، فأوحى الله إليهم: «أما إذا اجتمعتم على هذا فاحذروا إن نفعكم الحذر، فإني أنذركم، اعلموا أن أكبر الكبائر عندي أربع: - فما عملتم سواها غفرته لكم، وإن عملتموها لم أغفر لكم».

قالوا وما هي؟

قال: أن لا تعبدوا صنمًا ولا تسفكوا دمًا ولا تشربوا خمرًا ولا تطؤوا محرمًا.

فهبطوا إلى الأرض على ذلك، فكانوا في الأرض على مثل ما كان عليه إدريس: يقيمون أربعة أيام في سياحتهم، وثلاثة أيام يعلمون الناس الخير، ويدعونهم إلى عبادة الله تعالى وطاعته. حتى ابتلاهم الله بالزهرة، وكانت من أجمل النساء.

فلما نظروا إليها افتتنوا بها - أراد الله ولما سبق عليهم في علمه مع خذلان الله إياهم - فنسوا ما تقدم إليهم، فسألوها نفسها. قالت لهم: نعم.

ولكن لي زوج لا أقدر على ما تريدون مني إلا أن تقتلوه، وأكون لكم.

فقال بعضهم لبعض: إنا قد أمرنا أن لا نسفك دمًا، ولا نطأ محرمًا، ولكن نفعل هذا مع هذا، ثم نتوب من هذا كله.

فلما أحس الثالث بالفتنة، عصمه الله من ذلك كله بالسماء فدخلها فنجا، وأقام هاروت وماروت لما كتب عليهما، فشدا على زوجها فقتلاه.

فلما أراداها، قالت: لي صنم أعبده، وأنا أكره معصيته وخلافه، فإن أردتما، فاسجدا له سجدة واحدة.

فدعتهما الفتنة إلى ذلك، فقال أحدهما لصاحبه: إنا قد أمرنا أن لا نسفك دمًا ولا نطأ محرمًا، ولكنا نفعله، ثم نتوب من جميعه، فسجدوا لذلك الصنم.

فلما أراداها قالت لهما: قد بقيت لي حاجة أخرى قالا: وما هي؟ قالت: لي شراب لا يطيب لي من العيش إلا به. قالا: وما هو؟ قالت: الخمر. فدعتهما الفتنة إلى ذلك، فقال أحدهما لصاحبه: إنا قد أمرنا أن لا نشرب خمرًا فقال الآخر: إنا قد أمرنا أن لا نسفك دمًا، ولا نطأ محرمًا، ولكنا نفعله، ثم نتوب من جميعه. فشربا الخمر.

فلما أراداها قالت: قد بقيت لي حاجة أخرى. قالا: وما هي؟ قالت: تعلماني الذي تعرجان به إلى السماء. فعلماها إياه، فلما تكلمت به عرجت إلى السماء، فلما انتهت إلى السماء مسخت نجمًا، فلما ابتليا بما ابتليا به، عرجا إلى السماء، فغلقت أبواب السماء دونهما، وقيل لهما أن السماء لا يدخلها خطاء، فلما منعا من دخول السماء، وعلما أنهما قد افتتنا وابتليا، عجا إلى الله بالدعاء والتضرع والابتهال، فأوحى الله إليهما: حلَّ عليكما سخطي، ووجبت فيما تعرضتما، واستوجبتما، وقد كنتما مع ملائكتي في طاعتي وعبادتي، حتى عصيتما فصرتما بذلك إلى ما صرتما إليه من معصيتي وخلاف أمري، فاختارا إن شئتما عذاب الدنيا وإن شئتما عذاب الآخرة.

فعلما أن عذاب الدنيا وإن طال فمصيره إلى زوال، وأن عذاب الآخرة ليس له زوال ولا انقطاع، فاختارا عذاب الدنيا، فهما ببابل معلقين منكوسين مقرنين إلى يوم القيامة»

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق داود بن أبي هند، عن بعض أصحابه قال: كان

ملك الموت صديقًا لإدريس عليه السلام، فقال له إدريس يومًا: يا ملك الموت، قال: لبيك. قال: أمتني، فأرني كيف الموت؟

قال له ملك الموت: سبحان الله يا إدريس!، إنما يفر أهل السموات والأرض من الموت، وتسألني أن أريك كيف الموت؟

قال: إني أحب أن أراه، فلما ألح عليه قال له: يا إدريس، أنا عبد مملوك مثلك، وليس إليّ من الأمر شيء.

قال: فصعد ملك الموت فقال: رب إن عبدك سألني أن أريه الموت كيف هو؟

قال الله له: فأمته. فقال له ملك الموت: يا إدريس، إنما يفر الخلق من الموت، قال: فأرني. فلما مات بقي ملك الموت لا يستطيع أن يرد نفسه إليه، فقال: يا رب، قد ترى ما إدريس فيه؟ فرد الله إليه روحه، فمكث ما شاء حيًا، ثم قال يا ملك الموت: أدخلني الجنة فأنظر إليها؟ قال له: يا إدريس، إنما أنا عبد مملوك مثلك ليس إليّ من الأمر شيء، فألح عليه فقال ملك الموت: يا رب، إن عبدك إدريس قد ألح عليّ فسألني أن أدخله الجنة فيراها؟

وقد قلت له: إنما أنا عبد مثلك، وليس إليّ من الأمر شيء. قال الله: فأدخله الجنة قال: إن الله علم من إدريس ما لا أعلم أنا، فاحتمله ملك الموت فأدخله الجنة، فكان فيها ما شاء الله، فقال له ملك الموت: اخرج بنا.

قال: لا.

قال الله: ﴿**أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)**﴾[الصافات: 58 - 59].

وقال الله: ﴿**وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾[الحجر: 48]

وما أنا بخارج منها. قال ملك الموت: يا رب، قد تسمع ما يقول عبدك إدريس.

قال الله له: صدق عبدي هو أعلم منك، فاخرج منها ودعه فيها. فقال الله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً (٥٧)﴾[مريم: 56 - 57] قال: كان إدريس أول نبي بعثه الله في الأرض. وإنه كان يعمل فيرفع عمله مثل نصف أعمال الناس، ثم إن ملكًا من الملائكة أحبه فسأل الله أن يأذن له فيأتيه، فأذن له فأتاه فحدثه بكرامته على الله فقال: يا أيها الملك، أخبرني كم بقي من أجلي لعلي أجتهد لله في العمل.

قال: يا إدريس، لا يعلم هذا إلا الله. قال: فهل تستطيع أن تصعد بي إلى السماء؟؛ فأنظر في ملك الله؛ فأجتهد لله في العمل. قال: لا. إلا أن تشفع، فتشفع فأمر به، فحمله تحت جناحيه فصعد به حتى إذا بلغ السماء السادسة، استقبل ملك الموت نازلًا من عند الله فقال: يا ملك الموت، أين تريد؟ قال: أقبض نفس إدريس. قال: وأين أمرت أن تقبض نفسه؟ قال: في السماء السادسة. فذهب الملك ينظر إلى إدريس، فإذا هو برجليه يخفقان قد مات، فوضعه في السماء السادسة.

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ [مريم: 58]

أخرج ابن أبي حاتم، عن السدي في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾ قال: هذه تسمية الأنبياء الذين ذكرهم. أما من ذرية آدم: فإدريس ونوح، وأما من حمل مع نوح: فإبراهيم - وأما ذرية إبراهيم: فإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، وأما بني اسرئيل: فموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن مجاهد في قوله: ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ قال خلصنا.

وأخرج عبد بن حميد، عن قيس بن سعد قال: جاء ابن عباس حتى قام على عبيد بن عمير وهو يقص فقال:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً﴾ [مريم: 41].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [مريم: 54] الآية

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ الآية...

حتى بلغ ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾

قال ابن عباس: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللَّهِ﴾[إبراهيم: 5]

وأثن على من أثنى الله عليه.

وأخرج ابن أبي الدنيا في البكاء، وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب: أنه قرأ سورة مريم فسجد، ثم قال: هذا السجود فأين البكاء؟.

وروى الثعلبي في كتابه عرائس المجالس، عن ابن عباس وغيره ما ملخصه أن إدريس سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال: إني مشيت في الشمس يومًا فتأذيت فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد! اللهم خفّف عنه ثقلها واحمل عنه حرَّها، فاستجاب الله له فأحسَّ الملك الذي يحملها بذلك فسأل الله في ذلك فأخبره بما كان من دعاء إدريس واستجابته فسأله تعالى أن يجمع بينه وبين إدريس ويجعل بينهما خلة فأذن له.

فكان إدريس يسأله وكان مما سأله: أنك أخبرت أنك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي حتى أزداد شكرًا وعبادة فقال الملك: لا يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها. قال: نعم ولكنه أطيب لنفسي. قال الملك أنا مكلمه لك، وما كان يستطيع أن يفعله لأحد من بني آدم فهو فاعله لك.

ثم حمله الملك على جناحه ورفعه إلى السماء فوضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت وذكر له حاجة إدريس وشفع له فقال ملك الموت: ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت أعلمته أجله. قال: نعم فنظر في ديوانه وأخبره باسمه وقال: ما أراه يموت أبدًا. فإنه أجده يموت عند مطلع الشمس! قال: فإني أتيتك وقد تركته هناك قال له: انطلق فلا أراك تجده إلا ميتًا فو الله ما بقي من أجله شيء فرجع الملك إليه فوجده ميتًا.

ورواه في الدر المنثور عن ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس عن كعب إلا أن فيه أن النازل على إدريس الملك الذي كان يرفع إليه عمله وقد كان يرفع له من العمل ما يعدل عمل أهل الأرض في زمانه فأعجبه ذلك فسأل الله أن ينزل إليه فأذن له فنزل إليه وصحبه» الخ «وروى ابن أبي حاتم بطريق آخر عن ابن عباس هذا الحديث وفيه أن إدريس مات بين جناحي الملك.

وفي الدر المنثور أخرج ابن المنذر عن عمر مولى غفرة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن إدريس كان يرفع له وحده من العمل ما يعدل عمل أهل الأرض كلهم فأعجب ذلك ملك الموت فاستأذن الله في النزول إلى الأرض وصحبته فأذن له فنزل إليه وصحبه فكانا يسيحان في الأرض ويعبدان الله فأعجب إدريس ما رآه من عبادة صاحبه من غير كسل ولا فتور فسأله عن ذلك وأحفى في السؤال حتى عرفه ملك الموت نفسه وذكر له قصة نزوله وصحبته.

فلما عرفه إدريس سأله ثلاث حوائج له: أن يقبض روحه ساعة ثم يردها إليه فاستأذن الله وفعل، وأن يرفعه إلى السماء ويريه النار فاستأذن وفعل، وأن يريه الجنة فاستأذن وفعل فدخل الجنة وأكل من ثمارها وشرب من مائها فقال له ملك الموت: أخرج يا نبي الله فقد أصبت حاجتك، فامتنع من الخروج وتعلق بشجرة هناك، وخاصم ملك الموت قائلًا: قال الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وقد ذقته

وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وقد وردت النار، وقال: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ ولست أخرج من الجنة بعد دخولها فأوحى الله إلى ملك الموت خصمك عبدي فاتركه ولا تتعرض له فبقي في الجنة.

ورواه الثعالبي في العرائس عن وهب وفي آخره: فهو حي هناك فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة.

13. قال ابن إياس الحنفي رحمه الله في كتابه بدائع الزهور:

كان (إدريس) يدعو (قومه) في الجمعة ثلاثة أيام

وكان إدريس عنده شدة وصلابة في أمره ونهيه

وهو أول من خط بالقلم وأول من كتب الصحف وأول من نظر في علم النجوم والحساب وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان إذا خاط يسبح الله عند كل غرزة من الابرة فإذا غفل وخاط يفتق ما خاطه بغير تسبيح.

وكان لا يأكل إلا من كسب يده وكان يخيط للناس بالأجرة وهو أول من صنع المكيال.

قيل قبل زمن إدريس كان الناس يلبسون الأردية بغير خياطة فلما صنع إدريس الخياطة وخاط استحسن الناس ذلك ولبسوا المخيط.

ثم أنزل الله على إدريس ثلاثين صحيفة فكان لا يفتر عن قرائتها ليلًا ولا نهارًا وكانت الملائكة تأتي لمصافحة إدريس وكان يرفع كل يوم لادريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس حتى تعجبت منه الملائكة وحسده إبليس اللعين ولم ير له عليه سبيلا.

قال وهب بن منبه: رفع إدريس إلى السماء وهو ابن 365 سنة.

وقيل لما رفع إدريس عليه السلام إلى السماء تولى بعده ابنه متوشالخ فحكم بين الناس بالحق. ولما توفي متوشالخ سلم التابوت والصحف إلى ابنه لامك...»

14. قال ابن الجوزي رحمه الله في كتابه المدهش:

صعد إلى السماء منا إدريس وعيسى وجال في مجالهم محمد..

وقال أيضًا:

«إن إدريس وعيسى ابن مريم حيان في السماء، إدريس في السماء الرابعة تارة يعبد الله في السماء وتارة يتنعم في الجنة».

ولا مانع أن يتعبد النبي من الأنبياء في قبره أو في حال موته، والذي يثبت ذلك: حديث النبي ﷺ لما رأى في إسرائه الشريف، سيدنا موسى (عليه السلام) في قبره يصلي عند الكثيب الأحمر...إلخ

15. قال الإمام أبي الليث السمرقندي:

إدريس النبي عليه السلام وكان نبيًا مرسلًا.

واسمه أخنوخ وإنما سُمي إدريس لكثرة ما كان يدرس من كتاب الله تعالى وسنن الإسلام، وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها يعني ثياب القطن، و(الناس) كانوا من قبله يلبسون الجلود والصوف.

وأجاب له ألف إنسان مِمَّن يدعوهم (إدريس إلى دين الإسلام) وهو جد أبي نوح ورفع إلى السماء وهو ابن 365سنة، كما قال الله تعالى: ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً**﴾ سورة مريم، آية57، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ثم (أرسل الله) بعده نوح النبي عليه السلام....».

16. قال الإمام أبي البركات النسفي في تفسيره:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ...﴾.

هو أخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس

ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بني قابيل.و قولهم (أنه) سمي بـ (إدريس) لكثرة دراسته كتب الله لا يصح. لأنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد، وهو العلمية وكان منصرفا، فأمتناعه من الصرف دليل العجمة.

... إنه كان صدّيقا نبيًا...

أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾

هو شرف النبوة والزلفى عند الله.و قيل معناه رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة. وقد رآه النبي ﷺ ليلة المعراج فيها.و عن الحسن: إلى الجنة، (لأنه) لا شيء أعلى من الجنة...»

17. قال المسعودي في تفسيره:

(وهو الذي أخبر الله عز وجل في كتابه أنه رفعه مكانًا عليًا، وهو أول من درز الدروز وخاط بالإبرة وانزل عليه ثلاثون صحيفة وكان قد نزل قبل ذلك على آدم واحد وعشرون صحيفة وأنزل على شيث تسعة وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح).

وقال أيضًا:

«وقام (بالأمر) بعده (ابنه) متوشالخ بن أخنوخ (إدريس)، فعمّر البلاد والنور في جبينه وولد له أولاد وإن البلغر والروس والصقالبة من (نسل) ولده وكانت حياته تسعمائة وستين سنة ومات في أيلول».

وقال الثعلبي في قصصه:

«.... قال أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين: هو إدريس بن برد وقيل (يارد) بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، واسمه أخنوخ وسمي إدريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث، وأمه أشوت وكان إدريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله إلى ولد قابيل ثم رفعه إلى السماء....».

18. ذكر إدريس في تاريخ الطبري:

ذكر يرد - وبعضهم يقول هو يارد - وفولد يرد لمهلائيل من خالته سمعن ابنة باركيل بن محويل بن خنوخ بن قين، بعد ما مضي من عمر آدم أربعمائة وستون سنة، فكان وصيَّ أباه وخليفته فيما كان والد مهلائيل أوصى إلى مهلائيل، واستخلفه عليه بعد وفاته، وكانت ولادة أمه إياه بعد ما مضى من عمر أبيه مهلائيل - فيما ذكروا - خمس وستون سنة، فقام من بعد مهلك أبيه من وصية أجداده وآبائه بما كانوا يقومون به أيام حياتهم.

ثم نكع يرد - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، وهو ابن مائة سنة واثنتين وستين سنة - بركنا ابنة الدرمسيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم. فولدت له أخنوخ بن يرد - وأخنوخ إدريس النبي، وكان أول بني آدم أعطي النبوة - فيما زعم ابن إسحاق - وخط بالقلم، فعاش يرد بعد ما ولد له أخنوخ ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات، فكان كل ما عاش يرد تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة ثم مات.

وقال غيره من أهل التوراة: ولد ليرد أخنوخ - وهو إدريس - فنبأه الله عز وجل وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة، وأنزل عليه ثلاثون

صحيفة. وهو أول من خط بعد آدم وجاهد في سبيل الله، وقطع الثياب وخاطها، وأول من سبى من ولد قابيل، فاسترق منهم، وكان وصي والده يرد فيما كان آباؤه أوصوا به إليه، وفيما أوصى به بعضهم بعضًا، وذلك كله من فعله في حياة آدم.

قال: وتوفي آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أخنوخ ثلاثمائة سنة وثماني سنين، تتمةُ تسعمائة وثلاثين سنة التي ذكرنا أنها عمر آدم. قال: ودعا أخنوخ قومه ووعظهم، وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان، وألا يلابسوا ولد قابيل، فلم يقبلوا منه، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قايين.

قال: وفي التوراة: إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلاثمائة سنة وخمس

وستين سنة مضت من عمره، وبعد خمسمائة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من عمر أبيه، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسًا وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة، وكان عمر يارد تسعمائة واثنتين وستين سنة، وولد أخنوخ وقد مضت من عمر يارد مائة واثنتان وستون سنة.

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام، قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: في زمان يرد عملت الأصنام، ورجع من رجع عن الإسلام.

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي، قال: حدثني الماضي بن محمد، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال: قال لي رسول الله: «يا أبا ذر»، أربعة - يعني من الرسل - سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وأخنوخ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة».

وقد زعم بعضهم أن الله بعث إدريس إلى جميع أهل الأرض في زمانه، وجمع

له علم الماضين، وأن الله عز وجل زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة، وقال: فذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾ [الأعلى: 18 - 19]..

وقال: يعني بالصحف الأولى الصحف التي أنزلت على ابن آدم هبة الله وإدريس عليهما السلام.

وقال بعضهم: ملك بيوراسب في عهد إدريس، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه، فاتخذه، في ذلك الزمان سحرًا، وكان بيوراسب يعمل به، وكان إذا أراد شيئًا من جميع مملكته أو أعجبته دابة أو امرأة نفخ بقصبة كانت له من ذهب، وكان يجيء إليه كل شيء بريده، فمن ثَمّ تنفخ اليهود في الشبورات.

وأما الفرس فإنهم قالوا: ملك بعد موت أو شهنج طهمورث بن ويونجهان ابن خبانداذ بن خيابذار بن أوشهنج.

وقد اختلف في نسب طهمورث إلى أوشهنج، فنسبه بعضهم النسبة التي ذكرت وقال بعض نسابة الفرس: هو طهمورث بن أيونكهان بن أنكهد بن أسكهد ابن أوشهنج.

وقال هشام بن محمد الكلبي - فيما حدثتُ عنه: ذكر أهل العلم أن أول ملوك بابل طهمورث، قال: وبلغنا - والله أعلم - أن الله أعطاه من القوة ما خضع له إبليس وشياطينه، وأنه كان مطيعًا لله، وكان ملكه أربعين سنة.

وأما الفرس فإنها تزعم أن طهمورث ملك الأقاليم كلها، وعقد على رأسه تاجًا وقال يوم ملك: نحن دافعون بعون الله عن خليقته المردة الفسدة.

وكان محمودًا في ملكه، حدبًا على رعيته، وأنه ابتنى سابورًا من فارس ونزلها وتنقل في البلدان، وأنه وثب بإبليس حتى ركبه، فطاف عليه في أداني الأرض

وأقاصيها، وأفزعه ومردة أصحابه حتى تطايروا وتفرقوا عليه، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر للباس والفرش، وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وحراستها من السباع والجوارح للصيد، وكتب بالفارسية، وأن بيوراسب ظهر في أول سنة من ملكه، ودعا إلى ملة الصابئين.

ثم رجعنا إلى ذكر أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام.

ثم نكح - فيما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: أخنوخ بن يرد هدانة - ويقال: أدانة - ابنة باويل ابن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم، وهو ابن خمس وستين سنة، فولدت له متوشلخ بن أخنوخ، فعاش بعد ما ولد له متوشلخ ثلاثمائة سنة. وولد له بنون وبنات، فكان كل ما عاش أخنوخ ثلاثمائة سنة وخمسًا وستين سنة ثم مات.

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن التوراة: ولد لأخنوخ بعد ستمائة سنة وسبع سنين وثمانين سنة خلت من عمر آدم متوشلخ، فاستخلفه أخنوخ على أمر الله، وأوصاه ببيته قبل أن يرفع، وأعلمهم أن الله عز وجل سيعذب ولد قابين ومن خالطهم ومال إليهم ونهاهم عن مخالطتهم، وذكر أنه كان أول من ركب الخيل، لأنه اقتفى رسم أبيه في الجهاد، وسلك في أيامه في العلم بطاعة الله طريق آبائه. وكان عمر أخنوخ إلى أن رفع ثلاثمائة سنة وخمسًا وستين سنة. وولد له متوشلخ بعد ما مضي من عمره خمس وستون سنة.

ثم نكح - فيما حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - متوشلخ ابن أخنوخ عربا ابنة عزرائيل بن أنوشيل بن خنوخ بن قين بن آدم، وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة. فولدت له لمك بن متوشلخ، فعاش بعدما ولد له لمك سبعمائة

سنة، فولد له بنون وبنات، وكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة. ثم مات ونكح لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بتنوس ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام.

وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة فولدت له نوحًا النبي فعاش لمك بعدما ولد نوح خمسمائة سنة وخمسًا وتسعين سنة، وولد له بنون وبنات، فكان كل ما عاش سبعمائة سنة وثمانين سنة، ثم مات، ونكح نوح ابن لمك عمذرة ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قيم بن آدم، وهو ابن خمسمائة سنة، فولدت له بنيه: سام، وحام، ويافث، بني نوح.

وقال أهل التوراة: ولد لمتوشلخ بعد ثمانمائة سنة وأربع وسبعين سنة من عمر آدم لمك، فأقام على ما كان عليه أباؤه: من طاعة الله وحفظ عهوده. قالوا: فلما حضرت متوشلخ الوفاة استخلف لمك على أمره، وأوصاه بمثل ما كان آباؤه يوصون به. قالوا: وكان لمك يعظ قومه، وينهاهم عن النزول إلى ولد قابين فلا يتعظون، حتى نزل جميع من كان في الجبل إلى ولد قابين.

تسابيح إدريس عليه السلام

ذكر ابن إياس أن إدريس كان يسبح الله في يومه بمفرده بعدد تسابيح كل أهل زمانه في اليوم الواحد..... بل وكان لا ينسى الله تعالى حتى وهو يخيط الثياب في عمله -لأنه كان خياطًا- بل وكان مع كل غرزة إبرة يسبح الله بتسبيحة.....فإن كان وهو مشغول في عمله يسبح الله بعدد تسابيح كل الناس في اليوم الواحد....فما بالك لو كان غير مشغول وكان متفرغًا للتعبُّد فقط!! فماذا سيكون قدر تسابيحه!!

وتسابيح إدريس التي كان يقولها رفعته مكانا عليًا، فقد كان يسبح الله بأفضل التسابيح: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) وتارة كان يقول (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده).

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة في فضائل الذكر والتسبيح.

قال أبي الليث السمرقندي: وحدثني الثقة بإسناده عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: جاء إسرافيل (عليه السلام) إلى النبي ﷺ وقال له:

(قل يا محمد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عدد ما علم الله تعالى وزنَة ما علم الله تعالى وملء ما علم الله تعالى، فمن قالها مرة كتب الله له خمس خصال:

- كتب من الذاكرين الله كثيرًا، وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار، وكان له غرسًا في الجنة، وتحاتت عنه ذنوبه كما يتحات ورق الشجر اليابس، ونظر الله اليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه).

وفي رواية عن سمرة بن جندب عنه قال ﷺ: (أفضل الكلام أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت)

- وعن أبي زرعة عن أبي هريرة عنه ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده» متفق عليه.

الفرق بين إلياس وادريس

ذكر الله سبحانه وتعالى إلياس عليه السلام في القرآن الكريم في موضعين، الأول قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: 85]، الثاني قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 123]، كما ذكر إدريس عليه السلام في موضعين أيضًا.

الأول قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 56]، الثاني قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85]، وقد ذهب بعض العلماء من الصحابة ومن بعدهم إلى أنهما -أي إلياس وادريس- اسمان لنبي واحد، وأن إلياس هو إدريس وإدريس هو إلياس، قال ابن كثير في قصص الأنبياء: قال البخاري: ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء أنه لما مر به عليه السلام أي بإدريس قال له مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ولم يقل، كما قال آدم وإبراهيم مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قالا له. انتهى. وهذا ما ذهب إليه الضحاك بن مزاحم وحكاه قتادة ومحمد بن إسحاق كذا قال ابن كثير.

وقد رجح ابن كثير أنهما مختلفان وأن إلياس ليس هو إدريس، فقال: والصحيح أنه غيره كما تقدم. انتهى.

وسواء كان هو أو غيره فنحن مطالبون بالإيمان بالرسل والأنبياء عمومًا، وكذلك من سُمي منهم خصوصًا، ومن الذين سُموا إلياس وإدريس، ثم لا يترتب بعد ذلك عمل على معرفة هل هما واحد أو اسمان مترادفان.. والله أعلم.

قال المسعودي -رحمه الله-:

ما بال هذه الكتابة التي على الأهرام والبرابي لا تقرأ؟: ذكر العلماء وأهل العصر الذين كان هذا قلمهم وتداول أرض مصر الأمم -أي اختلاف وتعدد الأمم والحضارات على أرضها- فغلب على أهلها القلم الرومي وأشكال الأحرف للروم والقبط تقرؤه على حسب تعارفها إياه وخلطها لأحرف الروم بأحرفها على حسب ما ولدوا من الكتابة بين الرومي والقبطي الأول فذهبت عنهم كتابة آبائهم.

وأما عن تشابه آثار مصر والعراق مع بعضهما في محتوى الكلام... فإنه بنفس السبب، وهو أن إدريس كما قلنا: أول من نظر في علم النجوم والحساب، وكان أولًا بالعراق فأخذ قومه عنه هذه العلوم الحسابية والفلكية، ثم انتقل لمصر بعد ذلك فتعلم المصريون من إدريس هذا العلم، فكانت بذلك الحضارتين فيهما شيء قريب جدًا من بعضهما.

ثم إن إدريس لمّا أنبأه الله بحلول الطوفان في زمن سيأتي بعده، خاف إدريس على علومه وحكمه الفريدة، ففكّر في ماذا يصنع ليحمي صناعاته وأقواله هذا من الغرق والمحيان في الطوفان؟

فقطعا لو أنه اعتمد على أصحابه الذين اتبعوا سنته وهديه... فربما أقواله أي هم يحفظونها عنه بعد وفاته... ولكن ربما بعد وفاة صحابته الكرام، أن يغير أحلافهم كلام إدريس ويحرفوه عن كلمه فيكذبوا على سيدنا إدريس أقوال لم يقلها.

ففكّر ببناء مصنوعات عديدة من المباني الأهرامية والتماثيلية والمعابد والأماكن التي تكون بعيدة عن الطوفان وتكون في مأمن من الغرق والمحو والاندثار وهي في أماكن الأهرام والبرابي... فبناها وخط بيده على جدرانها علومه وحكمه وأقواله لكي لا تندثر وتضيع. كما كتب علومه وأقواله على أوراق وطرائق عديدة مختلفة.

وأمر إدريس أصحابه بالتمسك بسنته وهديه حتى آخر لحظة في الحياة، وأوصى ابنه متوشالخ، ثم رفع للسماء كما قالت الأخبار وسنورد تلك الأخبار لاحقًا.

كان يقسم إدريس أيامه حسب الأسبوع: ثلاثة أيام يدعو قومه «أبناء قابيل» إلى الله ونبذ الشرك والأوثان، ويدعو في نفس الوقت قومه المؤمنين صحابته «بنو شيث» وكان عددهم ألف إنسان فقط وهُم الذين أطاعوا إدريس في دعوته وصدقوه... فكان إدريس يدعو بنو شيث ليثبتهم على الدين ويعلمهم شرائع الله وفعلها.

وأربعة أيام يتعبد لله تعالى ويتقرب إليه بالطاعات والأذكار والتسابيح الكثيرة... حتى أنه كان ليسبح الله في اليوم وحده بقدر ما يسبح جميع أهل زمانه في نفس اليوم، فما بالك لو كان كذلك كل يوم، لذلك فهو أعلاهم منزلة ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

إدريس النبي عليه السلام وأسطورة أوزوريس

اعتقد المصريون أن أوزوريس قد ولد «في أيام النسيء الخمسة من السنة وصار ملك العالم، وما إن صار ملكًا حتى رفع الشعب المصري من حالته البائسة وجعل أبناءه يعرفون ثمرات الأرض ومنحهم القوانين وعلمهم أن يحترموا الآلهة وبعد ذلك زرع الأرض كلها لينشر فيها الحضارة.

ولكن شقيقه الأصغر «ست» غار من استحواذ أوزوريس على محبة الناس، فدبر لقتله إذ صنع تابوتًا على مقاس أوزوريس وأعلن على الملأ أن التابوت البديع سيكون من نصيب الشخص الذي يناسب مقاس التابوت تمامًا عندما يرقد فيه، وشرع أطراف المؤامرة مع «ست» يجربون الرقود في التابوت فلا يناسبهم، حتى جاء دور أوزوريس الذي إذ ما أن رقد في التابوت حتى أسرع «ست» وعصابته بغلق التابوت بالمسامير والرصاص المنصهر، ثم حمل التابوت وألقاه في النيل ليموت غرقًا، ولتبدأ رحلة زوجته «أوزوريس» في البحث عن جثمانه، وتعثر «إيزيس» على جسمانه وتخفيه عن أعين «ست» تمهيدًا لإعداد طقوس الدفن، ولكن «ست» الشرير يستطيع العثور على الجثمان فيمزقه إربًا وينثر أشلائه على طول مصر وعرضها وتعود «إيزيس»، مرة أخرى إلى رحلة البحث لتجمع أشلاءه حتى نجحت في ذلك، وجلست تبكي وتستعطف الآلهة فحزنت الآلهة ورقت لحالها فقامت أمه «نوت» بإحياء رميم عظامه فقام من بين الأموات، وساعتها حملت منه - وهي بعد عذراء - بوحيدها «حور» ثم رفعت الآلهة «أوزير» من بين الموتى إلى السماء جسدًا «حيًا» ليصبح إلهًا لمملكة الغرب - مملكة الموت - تعويضًا عما لحقه في

الدنيا من أذى وتعد الدراما المنفية (3400 ق.م). أقدم المصادر التي أشارت إلى أوزوريس والتي تعد من أقدم ما وصل إلينا من المصادر القديمة لدرجة أنها أقدم من عصر الأهرامات.

اختلف أوزوريس عن باقي الألهة المصرية القديمة فقد خرج القدماء المصريُّون في تصوير أوزوريس عن القاعدة المألوفة في اتخاذ الألهة لأحد الأشكال الحيوانية فأمون يرمز له بالكبش وسخمت باللبوة وسوبك بالتمساح وباستت بالقطعة وحتى عائلة أوزوريس ذاته: فحورس يرمز بالصقر وإيزيس يرمز لها بالبقرة أما أوزوريس فهو دائما رجل.

والسؤال ما علاقة أوزوريس بالنبى إدريس؟

- إذا كان أوزوريس كما دلت عدة شواهد هو بشر تم تأليهه وأنه ليس كباقي الألهة المصرية التي تعتبر زمن عن قوى كونية أو معاني مجردة فهل يحق لنا أن نفرض أن أوزوريس هو النبي إدريس؟
- أكد المفسرون وعلماء اللغة على أعجمية اسم إدريس كما أن المستقر في التراث أن إدريس كان مصريًا ولكن هذا لا يجعلنا أن نفترض أنه أوزوريس.
- في كتابه «التفسير الديني للتاريخ» يذكر الأستاذ/ محمود الشرقاوي/ : - بنى إدريس الكعبة على حد قول الصابئة - لتكون منارة التوحيد ونزل على عبده الكتاب وعرف عند الصابئين بكنز ثم يورد ما ذكره ديودو / الصقلي من أن «الإله أوزوريس ذهب إلى مدينة تدعى نس وهي من مدن العربية السعيدة وأنه ذهب إلى الحبشة فأقام السدود لخزن المياه وتنظيم السقي والارتواء ثم ذهب إلى بلاد العرب ومنها إلى الهند وذكر الزعيم القائل بوجود تمثل لأوزوريس في بلاد العرب».[1]

---

1. انظر: فجر الضمير - جيمس هنري بريستر - مكتبة مصر - والتفسير الديني للتاريخ - محمود الشرقاوي - دار الشعب.

ومن يرى أن أوزوريس هو إدريس يقولون أن عقائد ديانة أوزوريس تلتقي مع عقائد التوحيد فالخلود والبعث والميزان والصراط والجنة والنار والشيطان في عقيدة أوزوريس تلتقي تمامًا مع عقائد التوحيد وهي لا تزال واضحة رغم التحريف الذي أدخل على ديانة أوزوريس وهو ما يلتقي مع ذكره ابن قتيبة عن وهب بن منبه في أن أتباع (إدريس - أوزوريس) قد أحدثوا الأحداث إلى زمن نوح.

وأن معظم كتب التراث قد وضعت النبي إدريس في زمن قبل النبي نوح وهو تزامن بغض النظر عن مدى قته يشير إلى زمن موغل في القدم أيضًا.

فأوزوريس حقق نهضة للشعب المصري فهو صاحب نهضة حضارية وهو ما يؤكد ما ورد في «المقريزي من رواية نقلها صاعد اللغوي في كتابه طبقات الأمم» تقول أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صورت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر يحكي بأنه أول من أنذر بالطوفان وخاف من ضياع العلم والصنائع فبني الأهرام والبراي التي في صعيد مصر الأعلى وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم منها صفات العلوم حريصا على تخليدها لمن بعده وهرمس هذا هو إدريس عليه السلام.[1]

---

1. بين التاريخ والفلكلور - د/ قاسم عبده قاسم - مكتبة الدراسات الشعبية.

وفاته أو رفعه عليه السلام

هناك اختلاف بين أهل العلم عن وفاة إدريس عليه السلام ورفعه إلى السماء، ولا مانع في رفعه عليه السلام فهو نبي من الأنبياء له ما لا لغيره مِن مَن دون الأنبياء، فالله أعلم هل رفع ثم هبط للأرض ودفن فيها، أو رفع ولم يرجع ومات بالسماء، أو لم يرفع أصلًا.

وسوف نستعرض الأقوال والآراء حول هذا الموضوع.

ففي وفاته وأنه مات ودفن في الأرض استندوا لقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55].

وقالوا إنه ذكر أن هرمس «الذي يعتقد أنه إدريس» وتلميذه ديمون مدفونين تحت هرمين غربي مصر.

وقالوا أيضًا إن إدريس عليه السلام ولد في يوم عاشوراء ومات ورفع للسماء في يوم عاشوراء وكان يوم خميس، وكان رفعه للسماء من منطقة في مسجد السهلة بالكوفة بالعراق، وكان مكان رفعه في السماء الرابعة «على أرجح الأقوال» فقد قيل رفع للخامسة وقد قيل رفع للسادسة، والله أعلم

عن ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعبًا وأنا حاضر فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

فقال كعب: أما إدريس فإن الله أوحى إليه: أني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل

بني آدم - لعله من أهل زمانه - فأحب أن يزداد عملًا، فأتاه خليل له من الملائكة، فقال «له»: إن الله أوحى إليَّ كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى أزداد عملًا، فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرًا، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟

قال هو ذا على ظهري، فقال ملك الموت: يا للعجب! بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟! فقبض روحه هناك.

فذلك قول الله عز وجل ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾. ورواه ابن أبي حاتم عند تفسيرها. وعنده فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري؟ فسأله وهو معه: كم بقي من عمره؟ فقال: لا أدري حتى أنظر، فنظر فقال إنك لتسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين، فنظر الملك إلى تحت جناحه إلى إدريس فإذا هو قد قبض وهو لا يشعر. وهذا من الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة.

وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى.

إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حيًا إلى السماء ثم قبض هناك. فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار. والله أعلم.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾: رفع إلى السماء السادسة فمات بها، وهكذا قال الضحاك. والحديث المتفق عليه من أنه في السماء الرابعة أصح، وهو قول مجاهد وغير واحد.

وقال الحسن البصري: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ قال: إلى الجنة، وقال قائلون رفع في حياة أبيه يرد بن مهلاييل والله أعلم

قال النسفي في تفسيره:

والسبب في رفع إدريس ذلك أنه حُبِّبَ لكثرة عبادته إلى الملائكة. فقال (إدريس) لملك الموت: أذقني الموت يهن عليّ. ففعل ذلك بإذن الله فحي.

وقال (إدريس لملك الموت): أدخلني النار أزدد رهبة.. ففعل.

ثم قال (إدريس للملك أيضًا): أدخلني الجنة أزدد رغبة.

ثم قال (ملك الموت) له: اخرج. فقال (إدريس): قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة.

فقال الله عز وجل: بإذني فعل وبإذني دخل، فدعه (يا مَلَكَ الموت).

* قال الأستاذ/ عبد الوهاب النجار/ - رحمه الله - في كتابه: (قصص الأنبياء) تحت عنوان: (إدريس عليه السلام) ما نصه: (جاء في كتاب تاريخ الحكماء - وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات - من كتاب: (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ما نصه: إدريس: قد ذكر أهل التواريخ والقصص وأهل التفسير من أخباره وسوف أذكر لكم ما قاله الحكماء عنه بصفة خاصة: اختلف الحكماء في مولده ومنشئه وعمن أخذ العلم قبل النبوة.

* فقالت فرقة: ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة، ومولده بمنف، وقالوا هو باليونانية أرميس وعرب أرمس ومعنى أرميس عطارد، وقال آخرون اسمه باليونانية طرميس وهو عند العبرانيين خنوخ وعرب أخنوخ، وسماه الله عز وجل في كتابه العربي المبين إدريس وقال هؤلاء إن معلمه اسمه الغوثاذيمون وقيل أغثاذيمون المصري ولم يذكروا من كان هذا الرجل إلا أنهم قالوا: كان أحد الأنبياء اليونانيين والمصريين وسموه أيضًا أورين الثاني وإدريس عندهم

أورين الثالث وتفسير غوثا ذيمون السعيد الجد، وقالوا وخرج هرمس م
مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد إليها ورفعه الله إليه بها وذلك بعد اثنين
وثمانين سنه من عمره»).

وقال الثعلبي في قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس:

قال وهب بن منبه: كان يرفع لـ (إدريس) كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل
الأرض جميعهم في زمانه فتعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن
(ملك الموت) الله في زيارة (إدريس) فأذن الله له.

فاتى الملك إلى إدريس في صورة بني آدمي، وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان
وقت إفطاره دعاه إلى طعاهم فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له
في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟

فقال الملك: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أزورك وأصاحبك فأذن لي في
ذلك

وقد ذكرنا هذا الأثر عند ذكر ما ذكره الثعلبي في قصص الأنبياء والمجالس عن
إدريس عليه السلام.

3

إدريس عليه السلام عند أهل الكتاب والصابئة وعند الصابئة المندائيّن

- حكم الأخذ بالإسرائيليات في الإسلام
- إدريس هو (أخنوخ) في العهد القديم.
- الصابئة المندائيون وإدريس عليه السلام.

الإسرائيليات وحكم الأخذ بها في الإسلام

الإسرائيليات مجموعة من القصص والتفسيرات لقصص وأحكام القرآن الكريم، وأبطالها شخصيات من العهد القديم ورد ذكرهم في القرآن، وسبب تسميتها بذلك وإن كان هذا الاسم يدل بظاهره على اللون اليهودي: إما نظرًا إلى الأصل لأن أصل النصارى راجع إلى بني إسرائيل، وإما للتغليب فإن أكثر الأخبار منقول عن اليهود وإما لأمر آخر.

وقد دخل الكثير من الإسرائيليات إلى كتب التفسير الإسلامية عن طريق اليهود الذين اعتنقوا الإسلام في مرحلة مبكرة مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه، ولكن بعد فترة لم يَعُد اليهود الذين أسلموا وحدهم مصدر الإسرائيليات، فكثير من المفسرين المسلمين كانوا يعودون بأنفسهم إلى الكتب الدينية اليهودية لتفسير القصص.

وكتب التفسير من عهد ابن جرير إلى اليوم لا يكاد يخلو تفسير منها من إسرائيليات إلا أنها متفاوتة قلة وكثرة. نعم هناك مفسرون وقفوا من هذه الروايات موقف الناقد المنكر وبخاصة المتأخرين منهم الذين تسنَّى لهم الاطلاع على أسفار أهل الكتاب بعد أن ترجمت وعرفوا ما فيها من تهافت وتحريف وتغيير إلا أن هذا لم يكن شاملًا وإن الناقدين أنفسهم رووا كثيرًا منها في مناسبات كثيرة.

أورد ابن خلدون في مقدمته أسباب الاستكثار من المرويات الإسرائيلية فقال: وقد جمع المتقدمون في ذلك يعني التفسير النقلي وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والثمين، والمقبول والمردود؛ والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى

معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنها أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من (حِمْيَر)، الذين أخذوا بدين اليهودية، فلمّا أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلّق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم، وأمثال ذلك، وهؤلاء مثل: «كعب الأحبار، ووهب ابن منبه، وعبد الله بن سلام» فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملأوا الكتب بهذه المنقولات، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُدَ صيتهم، وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتُلقيت بالقبول من يومئذ.

ولقد اختلف موقف العلماء ولا سيما المفسرون من هذه الإسرائيليات على ثلاثة أنحاء:

أ- فمنهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها، ورأى أنه بذكر أسانيدها خرج من عهدتها، مثل ابن جرير الطبري.

ب- ومنهم من أكثر منها، وجردها من الأسانيد غالبًا، فكان حاطب ليل مثل البغوي الذي قال شيخ الإسلام ابن تيميه عن تفسيره: إنه مختصر من الثعلبي، لكنه صانه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة، وقال عن الثعلبي: إنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع.

ج- ومنهم من ذكر كثيرًا منها، وتعقب بعضهم مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير.

د- ومنهم من بالغ في ردها ولم يذكر منها شيئًا يجعله تفسيرًا للقرآن كمحمد رشيد رضا.

الإمام الشوكاني رحمه الله (ت: 1250هـ) وهو من المفسرين المعاصرين يمتاز تفسيره عن غيره بقلة الإسرائيليات بل لا تكاد توجد فيه إلا للرد عليها، بل كان -رحمه الله- من أشد المفسرين انتقادًا للإسرائيليات فهو لم يدع فرصة تمر دون أن يوجه نقده اللاذع إليها.

والإمام الألوسي رحمه الله (ت: 1270 هـ) يمحص في تفسيره «روح المعاني» الروايات ويدقق فيه الأخبار، فيرفض الإسرائيليات رفضًا باتًا.

وقد كان لهذه الإسرائيليات أثر سيئ في التفسير، إذ أدخلت فيه كثيرًا من القصص الخيالي المخترع، والأخبار المكذوبة، وهذا ما دفع العلماء لمقاومتها، وإخضاعها لمعايير نقد الرواية، وموازين الشريعة لتميز المقبول من المردود.

ولذا فقد قسم العلماء حكم رواية الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مقبول: وهو ما علم صحته بالنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذلك كتعيين اسم الخضر عليه السلام، إذ ورد فيه حديث صحيح عند البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، أخرجه البُخَارِي ومسلم.

أو ما كان له شاهد من الشرع يؤيده، وله أمثلة كثيرة في القصص النبوي كقصة الكفل وغيرها، عَنْ سَعْدٍ مَوْلَى طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلاَّ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَكِنِّى سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ لاَ يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ

عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أأكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه إلا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلته اذهبي فهي لك. وقال لا والله لا أعصي الله بعدها أبدا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه إن الله قد غفر للكفل». أخرجه أحمد والترمذي.

وقصة بغي بني إسرائيل التي سقت كلبًا فغفر الله لها وأدخلها الجنة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: أن امرأة بغيًا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت موقها، فغفر لها. أخرجه أحمد والبخاري ومسلم.

وقصة الثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم. أخرجه البخاري. وقصة المتسلف الأمين، والمتألي على الله، وغيرها.

والثاني: مسكوت عنه: وهو ما لم يعلم صحته ولا كذبه، وهذا القسم تجوز حكايته للعظة والعبرة، ولا نؤمن بصدقه ولا كذبه امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل﴾ [المائدة: 59] الآية. أخرجه البخاري.

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه. وقال: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، حدثوا عني ولا تكذبوا علي، قال: ومن كذب علي (قال همام: أحسبه قال متعمدا) فليتبوأ مقعده من النار». أخرجه أحمد والدارمي ومسلم.

قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى -: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا. فتح الباري شرح صحيح البخاري.

والثالث: مرفوض: وهو ما علم كذبه لتناقضه مع شريعتنا أو مخالفته للعقل، ولا

يصح تصديقه ولا قبوله ولا روايته، وإذا رواه المفسر في تفسيره وجب عليه بيانه.

قال ابن كثير رحمه الله في مقدمة تفسيره - بعد أن ذَكر حديثَ «بلّغوا عنّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَجَ، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»-:

«ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد. فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحتَه مما بأيدينا مما نشهدُ له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبَه بما عندنا مما يخالفه. والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمنُ به ولا نكذّبه، وتجوزُ حكايتُه لما تقدّم.

وغالبُ ذلك مما لا فائدة فيه تعودُ إلى أمرٍ دينيّ. ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك. كما يَذكرون في مثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعِدّتهم، وعصا موسى من أيّ شجر كانت؟

وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرِبَ به القتيلُ من البقرة، ونوع الشجرة التي كلَّم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم.

ولكن نقلُ الخلاف عنهم في ذلك جائز. كما قال تعالى: **﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً﴾** [الكهف: 22].[1]

1. تفسير ابن كثير.

إدريس هو أخنوخ في العهد القديم

جاء في سفر التكوين في الإصحاح الخامس: «1هذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ آدَمَ، يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ. 2ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ، وَبَارَكَهُ وَدَعَا اسْمَهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ. 3وَعَاشَ آدَمُ مِئَةً وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ وَلَدًا عَلَى شَبَهِهِ كَصُورَتِهِ وَدَعَا اسْمَهُ شِيثًا. 4وَكَانَتْ أَيَّامُ آدَمَ بَعْدَ مَا وَلَدَ شِيثًا ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 5فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ آدَمَ الَّتِي عَاشَهَا تِسْعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَمَاتَ.

6وَعَاشَ شِيثُ مِئَةً وَخَمْسَ سِنِينَ، وَوَلَدَ أَنُوشَ. 7وَعَاشَ شِيثُ بَعْدَ مَا وَلَدَ أَنُوشَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَسَبْعَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 8فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ شِيثَ تِسْعَ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَاتَ.

9وَعَاشَ أَنُوشُ تِسْعِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ قِينَانَ. 10وَعَاشَ أَنُوشُ بَعْدَ مَا وَلَدَ قِينَانَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 11فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَنُوشَ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسَ سِنِينَ، وَمَاتَ.

12وَعَاشَ قِينَانُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ مَهْلَلْئِيلَ. 13وَعَاشَ قِينَانُ بَعْدَ مَا وَلَدَ مَهْلَلْئِيلَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 14فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ قِينَانَ تِسْعَ مِئَةٍ وَعَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ.

15وَعَاشَ مَهْلَلْئِيلُ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَوَلَدَ يَارِدَ. 16وَعَاشَ مَهْلَلْئِيلُ بَعْدَ مَا وَلَدَ يَارِدَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 17فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ مَهْلَلْئِيلَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَمَاتَ.

«اوعاش يارد مئة واثنتين وستين سنة، وولد أخنوخ. 19وعاش يارد بعد ما ولد أخنوخ ثماني مئة سنة، وولد بنين وبنات. 20فكانت كل أيام يارد تسع مئة واثنتين وستين سنة، ومات.

21وعاش أخنوخ خمسا وستين سنة، وولد متوشالح. 22وسار أخنوخ مع الله بعد ما ولد متوشالح ثلاث مئة سنة، وولد بنين وبنات. 23فكانت كل أيام أخنوخ ثلاث مئة وخمسا وستين سنة. 24وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه».

وفي سفر يهوذا (14 – 15) وهي أحد أسفار العهد الجديد التي تصنف ضمن رسائل الكاثوليكيين التي يعتقد أن كاتبها هو (يهوذا تداوس) أحد رسل المسيح الاثنا عشر، بشكل عام يوصف هذا السفر من قبل شرّاح الكتاب المقدس بأنه رسالة تشجيع للمؤمنين ضد شرور «الفجّار» الذين تنتظرهم دينونة الله في «اليوم العظيم» جاء فيه ذكر أخنوخ ونبوءته وهذه أول نبوة وجدت في الكتاب، نبوة نطق بها أخنوخ قبل الطوفان، وهي ليست مسجلة في العهد القديم.. هناك أمور حدثت في العهد القديم لم يذكر العهد القديم شيئًا عنها، لكنها ذُكرت في العهد الجديد ومن ضمنها هذه النبوة، فيقول يهوذا «وتنبأ عن هؤلاء أيضًا أخنوخ السابع من آدم»، أي أنه تكلم عن طبقة من الناس قد تميزت بالشر والفساد وهي صفة أهل العالم من بداية تاريخ الإنسان إلى نهايته، فهؤلاء الذين كانوا في أيام أخنوخ، كان مثلهم أيضًا يعيشون في أيام يهوذا، كذلك في وقتنا الحاضر، ويقول يهوذا إن أخنوخ تنبأ عنهم.

«13 أمواج بحر هائجة مزبدة بخزيهم. نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد.

14 وتنبأ عن هؤلاء أيضا أخنوخ السابع من آدم قائلا: «هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه، 15 ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار» سفر يهوذا.

الأيام التي امتلأ فيها هذا العالم القديم بالظلم

ونقرأ أن أخنوخ سار مع الله في الأيام التي امتلأ فيها هذا العالم القديم بالظلم والفساد، لكن على الرغم من ذلك نرى شخصًا يسير مع الله في حالة الانفصال عن الشر المحيط به. فقد ميز الشر وانفصل عنه، وميّز قداسة الله فسار مع الله. وقد فسر الرسول في رسالة العبرانيين عبارة «وسار أخنوخ مع الله» أنه أرضى الله، فيقول «بالإيمان نُقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله. إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله» (عب 11: 5).

ولأن أخنوخ سار مع الله وأرضى الله، سُرّ الله أن يعلن فكره له عن كيفية تعامل الله مع هذا الشر المحيط به، وهو ما تم جزئيًا بقضاء الطوفان ويتم بالكامل في ظهور الرب بالمجد والقوة لكي يعاقب فجور الناس وإثمهم.

فنبوة أخنوخ تتعلق بالاختطاف وبالظهور، لكن قبل حصول هذا الأمر هنالك حقيقة مباركة لم يعرفها أخنوخ ولم تعلن في نبوات العهد القديم وإن كان أخنوخ رمزًا لها، أعني حقيقة الاختطاف. فسيجيء الرب أولًا لكي ينقذ المؤمنين من الغضب الآتي ومن ساعة التجربة العتيدة أن تجرب الساكنين على الأرض (1 تس1: 10، رؤ3: 10). فالمجيء الذي تكلم عنه أخنوخ، تكلمت عنه نبوات العهد القديم. أما الاختطاف فهو سر لا نجد له ذكرًا في نبوات العهد القديم.

وقد ذكر أهل السير والتواريخ أن إدريس عليه السلام هو أخنوخ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رحمه الله تعالى فِي أَوَّلِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ لَمَّا سَاقَ النَّسَبَ الْكَرِيمَ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى نُوحٍ قَالَ: «ابْنِ لَمْكَ بْنِ مَتُّوشَلَخَ بْنِ خَنُوخَ – وَهُوَ إِدْرِيسُ النَّبِيّ فِيمَا يَزْعُمُونَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح (6): «وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مَأْخُوذٌ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ».

وقال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى في ألفية السيرة في سياق النسب الكريم:

وهو ابنُ لامَكَ بنِ مَتُّوشَلَخِ ابْنِ خَنُوخَ وهُو إدريسُ.

ومما يشير أن أخنوخ المذكور في العهد القديم هو إدريس ما جاء في سفر التكوين:

«24وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ».

وقد ذكر الله تعالى في كتابه أنه رفع إدريس مكانا عليا فقال: ﴿ **وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً (٥٧)** ﴾ [مريم: 56 - 57]. .

فيقال: إن الأخذ المذكور في العهد القديم هو الرفع الذي ذكره الله تعالى، ولذلك قال ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: «قال جماعة من المفسرين: هو رفع مجازي. والمراد: رفع المنزلة لما أوتيه من العلم الذي فاق به على من سلفه. ونقل هذا عن الحسن البصري، وقال به أبو مسلم الأصفهاني.

وقال جماعة: هو رفع حقيقي إلى السماء.

وفي الإصحاح الخامس من سفر التكوين: «وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ». وعلى هذا فرفعه مثل رفع عيسى عليه السلام. - قال أبو الحسنات: هذا رواه ابن جرير عن مجاهد - والأظهر أن ذلك بعد نزوع روحه وروحنة جثته» ا. هـ.

ومما استدل به على أن إدريس ليس أخنوخ - أصحاب هذا الرأى -ما جاء في حديث الإسراء والمعراج في الصحيحين: «فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ».

وقَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّه في شرح الحديث المتقدم: «هَذَا مُخَالِف لِمَا يَقُولهُ أَهْل النَّسَب وَالتَّارِيخ مِنْ أَنَّ إِدْرِيس أَب مِنْ آبَاء النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَنَّهُ جَدّ أَعْلَى لِنُوحٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ نُوحًا هُوَ اِبْن لَامِك بْن مَتُوشَلَخ بْن

خنوخ.. وَهُوَ عِنْدهمْ إِدْرِيس بْن بُرْدَة بْن مهلاييل بْن قَيْنَان بْن أَنُوش بْن شيث بن آدم عَلَيْهِ السَّلَام.

وَلَا خِلَاف عِنْدهمْ فِي عَدَد هَذِهِ الْأَسْمَاء وَسَرْدهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُونَ فِي ضَبْط بَعْضهَا وَصُورَة لَفْظه. وَجَاءَ جَوَاب الْآبَاء هُنَا إِبْرَاهِيم وَآدَم مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِح. وَقَالَ إِدْرِيس: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِح كَمَا قَالَ مُوسَى وَعِيسَى وَهَارُون وَيُوسُف وَيَحْيَى وَلَيْسُوا بِآبَاءٍ صَلَوَات اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِمْ.

قال ابن العربي في أحكام القرآن:

نوح أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم بتحريم البنات والأخوات والعمات والخالات وسائر الفرائض؛ كذلك في صحيح الأثر عن النبي ﷺ.

ومن قال من المؤرخين: إن إدريس كان قبله فقد وهم. والدليل على صحة وهمه في اتباعه صحف اليهود، وكتب الإسرائيليات الحديث الصحيح «في الإسراء، حين لقي النبي ﷺ آدم وإدريس، فقال له آدم: مرحبا بالنبي الصالح، والابن الصالح. وقال له إدريس: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح».

ولو كان إدريس أبا لنوح على صُلْب محمد ﷺ لقال له: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح. فلما قال له: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح دل على أنه يجتمع معه في أبيهم نوح، ولا كلام لمنصف بعد هذا».

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله في «التحرير والتنوير»:

(ووقع في حديث مالك بن صعصعة عن الإسراء بالنبي ﷺ إلى السماوات أنه وجد إدريس عليه السلام في السماء، وأنه لما سلَّم عليه قال: «مرحبا بالأخ الصالح، والنبي الصالح» فأُخذ منه أن إدريس عليه السلام لم تكن له ولادة على النبي ﷺ لأنه لم يقل له «والابن الصالح»: ولا دليل في ذلك؛ لأنه قد يكون قال ذلك اعتبارا بأخوة التوحيد، فرجحها على صلة النسب، فكان ذلك من حكمته.

على أنه يجوز أن يكون ذلك سهوًا من الراوي؛ فإن تلك الكلمة لم تثبت في حديث جابر بن عبد الله في «صحيح البخاري». وقد جزم البخاري في أحاديث الأنبياء بأن إدريس جد نوح أوجد أبيه، وذلك يدل على أنه لم بر في قوله: «مرحبا بالأخ الصالح» ما ينافي أن يكون أبا للنبي ﷺ).اهـ، والله أعلم.

والقول إن إِدْرِيس هو إِلْيَاس وَأَنَّهُ لَيْسَ بِجَدٍّ لِنُوح فإِلْيَاس مِنْ ذُرِّيَّة إِبْرَاهِيم وَإِنَّهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ، وَمن المعلوم أَنَّ أَوَّل الْمُرْسَلِينَ نُوح عَلَيْهِ السَّلام كَمَا جَاءَ فِي حَدِيث الشَّفَاعَة المعروف.

وهذا الكلام يُذْكَرُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما كما قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه - قال الحافظ ابن حجر: «أَمَّا قَوْل ابْن مَسْعُود فَوَصَلَهُ عَبْد بْن حُمَيْدٍ وَابْن أَبِي حَاتِم بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْهُ قَالَ: إِلْيَاس هُوَ إِدْرِيس، وَيَعْقُوب هُوَ إِسْرَائِيل. وَأَمَّا قَوْل ابْن عَبَّاس، فَوَصَلَهُ جُوَيْبِرٌ فِي تَفْسِيره عَنْ الضَّحَّاك عَنْهُ وَإِسْنَاده ضَعِيف، وَلِهَذَا لَمْ يَجْزِم بِهِ الْبُخَارِيّ» ثم قال: «إِنْ ثَبَتَ مَا قَالَ اِبْن عَبَّاس أَنَّ إِلْيَاس هُوَ إِدْرِيس لَزِمَ أَنْ يَكُون إِدْرِيس مِنْ ذُرِّيَّة نُوح لا أَنَّ نُوحًا مِنْ ذُرِّيَّته، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَة الْأَنْعَام: ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: 84] إِلَى قَوْله: ﴿وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ [الأنعام: 85] فَدَلَّ عَلَى أَنَّ إِلْيَاس مِنْ ذُرِّيَّة نُوح سَوَاء، قُلْنَا إِنَّ الضَّمِير فِي قَوْله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ لِنُوحٍ أَوْ لِإِبْرَاهِيم، لِأَنَّ إِبْرَاهِيم مِنْ ذُرِّيَّة نُوح فَمَنْ كَانَ مِنْ ذُرِّيَّة إِبْرَاهِيم فَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّة نُوح لَا مَحَالَة».

روى ابن حبان في صحيحه بسنده عن الصحابى أبى ذر رضى الله عنه قال: دخلْتُ المسجدَ فإذا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم جالسٌ وحدَه قال: (يا أبا ذرٍّ إنَّ للمسجدِ تحيَّةً وإنَّ تحيَّتَه ركعتانِ فقُمْ فاركَعْهما).

قال: فقُمْتُ فركَعْتُهما ثمَّ عُدْتُ فجلَسْتُ إليه فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ إنَّك أمَرْتَني بالصَّلاةِ فما الصَّلاةُ؟

قال: (خيرُ موضوعٍ، استكثِرْ أوِ استقِلَّ).

قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ أيُّ العملِ أفضلُ؟

قال: (إيمانٌ باللهِ وجهادٌ في سبيلِ اللهِ).

قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فأيُّ المؤمنينَ أكمَلُ إيمانًا؟

قال: (أحسَنُهم خُلقًا).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فأيُّ المؤمنينَ أسلَمُ؟

قال: (مَن سلِم النَّاسُ مِن لسانِه ويدِه).

قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فأيُّ الصَّلاةِ أفضَلُ؟

قال: (طولُ القُنوتِ).

قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فأيُّ الهجرةِ أفضَلُ؟

قال: (مَن هجَر السَّيِّئاتِ).

قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فما الصِّيامُ؟

قال: (فرضٌ مجزِئٌ وعندَ اللهِ أضعافٌ كثيرةٌ).

قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فأيُّ الجهادِ أفضَلُ؟

قال: (مَن عُقِر جوادُه وأُهريق دمُه).

قال: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فأيُّ الصَّدقةِ أفضلُ؟

قال: (جُهدُ المُقلِّ يُسَرُّ إلى فقيرٍ).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فأيُّ ما أنزَل اللهُ عليك أعظمُ؟

قال: (آيةُ الكُرسيِّ) ثمَّ قال: (يا أبا ذرٍّ ما السَّمواتُ السَّبعُ مع الكُرسيِّ إلَّا كحلقةٍ مُلقاةٍ بأرضِ فلاةٍ وفضلُ العرشِ على الكُرسيِّ كفضلِ الفلاةِ على الحلقةِ).

قال: قُلتُ: يا رسولَ اللهِ كم الأنبياءُ؟ قال: (مئةُ ألفٍ وعشرونَ ألفًا)

قُلتُ: يا رسولَ اللهِ كم الرُّسلُ مِن ذلك؟

قال: (ثلاثُمئةٍ وثلاثةَ عشرَ جمًّا غفيرًا)

قال: قُلتُ: يا رسولَ اللهِ مَن كان أوّلَهم؟

قال: (آدمُ) قُلتُ: يا رسولَ اللهِ أنبيٌّ مرسَلٌ؟

قال: (نَعم خلَقه اللهُ بيدِه ونفَخ فيه مِن رُوحِه وكلَّمه قبلًا) ثمَّ قال: (يا أبا ذرٍّ أربعةٌ سُريانيُّونَ: آدمُ وشِيثُ وأخنوخُ وهو إدريسُ وهو أوَّلُ مَن خطَّ بالقلمِ ونوحٌ، وأربعةٌ مِن العربِ: هودٌ وشعيبٌ وصالحٌ ونبيُّك محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) قُلتُ: يا رسولَ اللهِ كم كتابًا أنزَله اللهُ؟

قال: (مئةُ كتابٍ وأربعةُ كُتبٍ أُنزِل على شِيثَ خمسونَ صحيفةً وأُنزِل على أخنوخَ ثلاثونَ صحيفةً وأُنزِل على إبراهيمَ عَشْرُ صحائفَ وأُنزِل على موسى قبلَ التَّوراةِ عَشْرُ صحائفَ وأُنزِل التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ والقرآنُ)

قال: قُلتُ: يا رسولَ اللهِ ما كانت صحيفةُ إبراهيمَ؟

قال: (كانت أمثالًا كلُّها: أيُّها الملِكُ المسلَّطُ المبتلى المغرورُ إنِّي لم أبعَثْك لتجمَعَ الدُّنيا بعضَها على بعضٍ ولكنِّي بعَثْتُك لترُدَّ عنِّي دعوةَ المظلومِ فإنِّي لا أرُدُّها ولو كانت مِن كافرٍ وعلى العاقلِ ما لم يكُنْ مغلوبًا على عقلِه أنْ تكونَ له ساعاتٌ: ساعةٌ يُناجي فيها ربَّه وساعةٌ يُحاسِبُ فيها نفسَه وساعةٌ يتفكَّرُ فيها في صُنعِ اللهِ وساعةٌ يخلو فيها لحاجتِه مِن المطعَمِ والمشرَبِ وعلى العاقلِ ألَّا يكونَ ظاعنًا إلَّا لثلاثٍ: تزوُّدٍ لمعادٍ أو مَرَمَّةٍ لمعاشٍ أو لذَّةٍ في غيرِ محرَّمٍ وعلى العاقلِ أنْ يكونَ بصيرًا بزمانِه مُقبِلًا على شأنِه حافظًا للسانِه ومَن حسَب كلامَه مِن عملِه قلَّ كلامُه إلَّا فيما يَعنيه).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ فما كانت صحفُ موسى؟

قال: (كانت عِبَرًا كلُّها: عجِبْتُ لِمَن أيقَن بالموتِ ثمَّ هو يفرَحُ وعجِبْتُ لِمَن أيقَن بالنَّارِ ثمَّ هو يضحَكُ وعجِبْتُ لِمَن أيقَن بالقدرِ ثمَّ هو ينصَبُ عجِبْتُ لِمن رأى الدُّنيا وتقلُّبَها بأهلِها ثمَّ اطمَأنَّ إليها وعجِبْتُ لِمَن أيقَن بالحسابِ غدًا ثمَّ لا يعمَلُ).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ أوصِني قال: (أوصيك بتقوى اللهِ فإنَّه رأسُ الأمرِ كلِّه).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ زِدْني.

قال: (عليك بتلاوةِ القرآنِ وذِكْرِ اللهِ فإنَّه نورٌ لك في الأرضِ وذُخرٌ لك في السَّماءِ).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ زِدْني.

قال: (إيَّاك وكثرةَ الضَّحكِ فإنَّه يُميتُ القلبَ ويذهَبُ بنورِ الوجهِ).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ زِدْني.

قال: (عليك بالصَّمتِ إلَّا مِن خيرٍ فإنَّه مَطردةٌ للشَّيطانِ عنك وعونٌ لك على أمرِ دِينِك) قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ زِدْني.

قال: (عليك بالجهادِ فإنَّه رهبانيَّةُ أمَّتي).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ زِدْني.

قال: (أحِبَّ المساكينَ وجالِسْهم).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ زِدْني.

قال: (انظُرْ إلى مَن تحتَك ولا تنظُرْ إلى مَن فوقَك فإنَّه أجدرُ ألَّا تزدريَ نعمةَ اللهِ عندَك) قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ زِدْني.

قال: (قُلِ الحقَّ وإنْ كان مُرًّا).

قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ زِدْني قال: (ليرُدَّك عن النَّاسِ ما تعرِفُ مِن نفسِك ولا تجِدْ عليهم فيما تأتي وكفى بك عيبًا أنْ تعرِفَ مِن النَّاسِ ما تجهَلُ مِن نفسِك أو تجِدَ عليهم فيما تأتي).

ثمَّ ضرَب بيدِه على صدري فقال: (يا أبا ذرٍّ لا عقلَ كالتَّدبيرِ ولا ورَعَ كالكفِّ ولا حسَبَ كحُسنِ الخُلُقِ).

وروى ابن حبان في صحيحه بسنده من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: (يا أبا ذر أربعة سُريانيون: آدم وشيثٌ وأخَنوخُ وهو إدريس وهو أوّل من خطّ بالقلم، ونوحٌ) والحديث عده ابن الجوزي في الموضوعات كما قال ابن كثير.

جاء في سيرة ابن هشام: «نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس النبي».

- قال ابن قتيبة في المعارف: «وولد لليارد أخنوخ وهو إدريس».
- وفي أنساب الأشراف للبلاذري: «أخبرني جماعة من أهل العلم بالكتب قالوا: نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ- وهو إدريس عليه السلام- بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم...وروي عن محمد بن إسحاق بن يسار، أنه قال: سمى أخنوخ «إدريس» لأنه أول من خط بقلم».
- ورد في تاريخ الطبري: «أخنوخ بن يرد وأخنوخ إدريس النبي».
- وقال الطبري في تفسيره: «وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون: «إدريس»، جد نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، و«أخنوخ» هو «إدريس بن يرد بن مهلائيل». وكذلك روي عن وهب بن منبه».

- وفي الكشف والبيان قال الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾: «وهو جد نوح، فسمي إدريس لكثرة درسه الكتب، واسمه أخنوخ».

وقد علم إدريس عليه السلام قومه بمصر الكثير من العلوم وأخبار الأمم التي ستأتي بعده والتي سبقته، فأخبرهم عن آدم وعن قابيل وهابيل وعن نوح وما سيحصل في عهده من شرك بالله وأن المؤمنين سينجون مع نوح والكافرين سيغرقون...إلخ

إدريس في ديانة الصابئة المندائيّن

يعتقد بعضهم أن دنانوخ أحد أنبياء الصابئة المندائيّن والوارد ذكره في كتاب الصابئة المقدس أنه إدريس، وأنه نفسه أينوخ (أخنوخ) الوارد ذكره في العهد القديم.

والصابئة كلمة أصلها من الفعل الآرامي المندائي مصبتا، أي صبغ أو اغتسل، وتدل على التطهر والنقاء، الاسم هذا هو اسم أقدم ديانة سماوية توحيدية وهي ديانة الله الأولى التي أنزلت على نبيه ورسوله آدم.

- ولهم كتابهم المنزل الذي يسمى (جنزا ربا) أي الكنز العظيم، ويعتبر النبي «دنانوخ إدريس» رابع أنبياء الصابئة، حيث لهذه الديانة الموحدة سبعة أنبياء هم: آدم، شيتل بن آدم أو شيث، آنوش، نوح، سام بن نوح، «دنانوخ إدريس» وآخرهم يحيى بن زكريا عليهم السلام. حيث يسمى بهذه الديانة الموحدة بـ«دنانوخت» أو «دنانوخ»، ولمكانة «النبي إدريس» وابنه مكانة مميزة بهذه الديانة السماوية حيث ترد نصوص كثيرة حول حياته بكتاب جنزاربا الكنز العظيم صحف الأنبياء وفي الكتب والمخطوطات الأخرى.

ويقول المؤرخون إنه ينتسب إلى أمة «السريان» أقدم الأمم، وملتهم هي ملة الصابئين ويعتقد أنه دنانوخ الوارد ذكره في كتاب الصابئة المقدس وهي ديانة الله الأولى التي أنزلت على نبيه ورسوله آدم ولهم كتابهم المنزل الذي يسمى جنزاربا (أي الكنز العظيم)، ويعتبر النبي «دنانوخ إدريس» رابع أنبياء الصابئة.

كما يذهب بعضهم إلى كونه إله الحكمة عند المصريين والذي يسمى بالإله «تحوت» أو «توت» كما ينسب إليه مجموعة من النصوص تسمى متون هرمس

وهي تنطق بالوحدانية لله، وتنفي عنه صفة الألوهية وتثبت أن المصريين القدماء عرفوا التوحيد في العصور الأولى.

الفيلسوف الإغريقي أفلاطون في محاورة كراتيليوس من الوصول إلى المعنى الحقيقي الذي يربط هذه الأسماء بعضها البعض فالاشتقاق اللفظي لكلمة هرمس أنه مخترع الكتابة والكلام وفي اللغة الإغريقية هرمس مشتقة من كلمتين أر، مس وتعني «أبو العلوم» وفي تاج العروس ولسان العرب فالهرمس الهِرْماسُ بالكسر من أسماءِ الأسَد وبالجمع بين المعنيين في الإغريقية والعربية يمكن أن نشتق معنى الحكمة واقترانها بجسد أسد، هو نفس الرمز الذي عليه تمثال أبو الهول.

كما تحدث المؤرخ ديودور الصقلي عن الدور الذي لعبه هرمس فهو أول من حدد نطق كلمات اللغة العادية وأعطى للأشياء التي لم يكن لها مسميات من قبل أسماء وابتكر الحروف الهجائية وعلم الناس عبادة الإله وتقديم النذور والأضاحي وقام بدراسة حركة النجوم وهو أبو البيان.

وقد روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا أبا ذر أربعة سُريانيون: آدم وشيثٌ وأَخنوخُ وهو إدريس وهو أوّل من خطَّ بالقلم، ونوحٌ».

ومن يرى أن إدريس أحد أنبياء الصابئة يرون أنه أبو الهول ذلك التمثال القابع أمام الأهرامات بالجيزة وكلها آراء لا أساس لها من الصحة.

هرمس الهرامسة وإدريس

- هرمس الهرامسة أو «هرمس مثلث العظمة».
- صحف ومتون هرمس.

هرمس الهرامسة أو «هرمس مثلث العظمة»
(Hermes Trismegistus)

هناك أكثر من هرمس ويعتقد بعضهم أنه رمز للحكمة وربطوا ذكره بسيدنا إدريس عليه السلام، واعتقد الأقدمون من اليونانيين أن النبي إدريس هو هرمس ويلقب هرمس طريس مجيسطس أي ثلاثي التعليم لأنه كان يصف الله بثلاث صفات ذاتية هي الوجود والحكمة والحياة.

هرمس الأول: وهو هرمس البابلي سكن كلواذا مدينة الكلدانيين، وكان بعد الطوفان وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش.

هرمس الثاني: (عطارد بالإغريقية) المصري وهو الذي يسمى طريسميجيسطيس أي المثلث بالحكمة، لأنه جاء ثالث الهرامسة الحكماء ونقلت من صحفه نبذ وهي من مقالاته إلى تلميذه طاطي على سبيل سؤال وجواب بينهما.[1]

وقيل إن هرمس الأول بنى مائة وثمانين مدينة صُغراها الرها، وسنَّ للناس عبادة الله والصوم والصلاة والزكاة والتعييد لحلول السيّارة (القافلة التي تسير) ببيوتها وأشرافها وكذلك كلما استهل الهلال وحلت الشمس برجًا من الاثنى عشر. وأن يقربوا قرابين من كل فاكهة باكورتها، ومن الطيب والذبائح والخمور أنفسها. وحرم السكر والمآكل النجسة. والمندائية تزعم أن شيث بن آدم هو أغاثاديمون المصري معلّم هرمس.

1. كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي على الموسوعة الشاملة.

وكان أسقليبياذيس الملك أحد من أخذ الحكمة عن هرمس وولاه هرمس ربع الأرض المعمورة يومئذ وهو الربع الذي ملكه اليونانيون بعد الطوفان.

ولما رفع الله هرمس إليه حزن أسقليبياذيس حزنًا شديدًا تأسفًا على ما فات الأرض من بركته وعلمه وصاغ له تمثالًا على صورته ونصبه في هيكل عبادته وكان التمثال على غاية ما يمكن من إظهار أهبة الوقار عليه والعظمة في هيبته ثم صوره مرتفعًا إلى السماء وكان يمثل بين يديه تارة ويجلس أخرى ويتذكر شيئًا من حكمه ومواعظه على العبادة. وبعد الطوفان ظن اليونانيون أن الصورة لأسقليبياذيس فعظموه غاية التعظيم.

وكان أبقراط إذا عهد إلى تلامذته يقول: نشدتكم الله باري الموت والحياة وأبي وأباكم أسقليبياذيس.

وكان يصوره وبيده نبات الخطمي رمزًا منه إلى فضيلة الاعتدال في الأمور واللين والمؤاتاة والمطاوعة في المعاملة. وقال جالينوس: لا يجب أن يرفض الشفاء الذي يحصل عليه المرضى بدخولهم هيكل أسقليبياذيس.

الخلاصة إنَّ ما ورد من أخبار ما قبل الطوفان ولم يسند إلى نبأ نبوي فهو حدس وتخمين لعدم المخبر به على الحقيقة.[1]

ومن اعتقد أن إدريس هو هرمس الهرامسه قالوا إن معلمه اسمه الغوثاذيمون وقيل أغثاذيمون المصري وَلَمْ يذكروا من كَانَ هَذَا الرجل إلاَّ أنهم قالوا إنه كَانَ أحد الأنبياء اليونانيين وأنَّ المصريين وسموه أيضًا أورين الثاني وإدريس عندهم أورين الثالث وتفسير غوثاذيموس السعيد الجد.

وقالوا خرج هرمس من مصر وجاب الأرض كلها ثُمَّ عاد إِلَيْهَا ورفعه الله إِلَيْهِ بهَا وذلك بعد اثنين وثمانين سنة من عمره وقالت فرقة أخرى أن إدريس ولد ببابل

---

1. من كتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبري على الموسوعة الشاملة.

زمنًا وأنه أخذ فِي أول عمره بعلم شيث بن آدم وهو جد جد أبيه لإدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش.

قال الشهرستاني في الملل والنحل إن أغثاذيمون هو شيث ولما كبر إدريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث، فأطاعه أقلهم وخالفهم جلهم فانتوي الرحيل عنهم، وأمر من أطاعه منهم بذلك، ولكن ثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم، فقالوا لَهُ وأين نجد إذَا رحلنا مثل بابل وبابل بالسريانية النهر وكأنهم عنوا بذلك دجلة والفرات، فقال إذَا هاجرنا لله رزقنا غيره فخرج وخرجوا وساروا إِلَى أن وافوا هَذَا الإقليم الَّذِي سمي بابليون فرأوا النيل ورأوه واديًا خاليًا من ساكن فوقف إدريس عَلَى النيل وسبح الله، وقال لجماعته بابليون واختلف فِي تفسيره فقيل نهر كبير وقيل نهر كنهركم وقيل نهر مبارك وقيل أن يون في السريانية مثل افعل الَّتِي للمبالغة فِي كلام العرب، وكأن معناه نهرًا كبر نسمي الإقليم عند جميع الأمم بابليون وسائر فرق الأمم عَلَى ذَلِكَ إلاَّ العرب فإنهم يسمونه إقليم مصر نسبة إِلَى مصر بن حام النازل بِهِ بعد الطوفان، والله أعلم بكل ذَلِكَ.

وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق إِلَى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عزَّ وجلَّ وتكلم الناس فِي أيامه باثنين وسبعين لسانًا وعلمه الله عزَّ وجلَّ منطقهم ليعلم كل فرقة منهم بلسانهم ورسم لَهُ تمدين المدن وجمع لَهُ طالبي العلم بكل مدينة فعرفهم السياسة المدنية وعرفهم قواعدهم فبنت كل فرقة من الأمم مدنًا فِي أرضها وكَانَتْ عدة المدن الَّتِي أنشأت فِي زمانه مائة مدينة وثماني وثمانين مدينة أصغرها الرها وعلمهم العلوم.

وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم فإن الله عزَّ وجلَّ أفهمه سر الفلك وتركيبه ونقطة اجتماع الكواكب فِيهِ وأفهمه عدد السنين والحساب ولولا ذَلِكَ لَمْ

تصل الخواطر لاستقرائها إِلَى ذَلِكَ وأقام للأمم سننًا فِي كل إقليم تليق كل سنة بأهلها وقسم الأرض أربعة أرباع وجعل عَلَى كل ربع ملكًا يسوس أمر المعمور من ذَلِكَ الربع وتقدم إِلَى كل ملك بأن يلزم أهل كل ربع بشريعة سأذكر بعضها وأسماء الأربعة الملوك الذين ملكوا.

الأول إيلاوس وتفسيره الرحيم. والثاني أوس. والثالث سقلبيوس والرابع أوس آمون.وقيل أيلاوس أمون. وقيل بَسيلوخَس وهو آمون الملك.

إن شخصية «هرمس» شخصية أسطورية في المقام الأول وقد نالت اهتمامًا من بعضهم وحاولوا ربطها بشخصية النبي إدريس، واخترقت ما يسمى «بالأفكار الهرمسية» الفكر الإسلامي عند بعض المؤرخين العرب القدامى فتجدهم يتحدثون عن «هرمس» زاعمين أنه هو نبي الله «إدريس» عليه السلام ويقولون إن «هرمس» هو المذكور في التوراة باسم خنوخ أو «أخنوخ».

والحقيقة أن «هرمس» كان معبودًا «يونانيًا» ضمن «آلهة الأولميب» الشهيرة وكان ابنا لزيوس.. وتقول الأسطورة اليونانية إن «هرمس» قام بسرقة خمسين من قطيع أخيه «أبوللو» في ذات اليوم الذي ولد فيه.

حسب الميثولوجية اليونانية هرمس رسول الآلهة لدى اليونان، ورب الطرقات والتجار والمسافرين، كما كان «هرمس» راعيًا للصوص.

وسبب تأثر المؤرخين العرب بالميثولوجية اليونانية حركة الترجمة من المؤلفات اليونانية التي انتشرت في القرنين الثالث والرابع الهجري، حيث تأثر بعض الأدباء والمؤرخين العرب بالأفكار والفلسفات اليونانية، وهو ما ساعد توغل الأفكار الهرمسية في الكتابات العربية والإسلامية.

جزء واحد فقط من شيء أكبر من ذلك بكثير، حيث المركز الرئيسي الجغرافي والزمني لها هو التقاليد العربية.

في إحدى القرون الأولى من العصر المشترك بين مصر والرومان، قام بعض الحكماء المجهولين في مصر الرومانية، على مدى عدة أجيال، بكتابة أطروحات عن العلم والفلسفة اليونانية لكي تدرس وتكون جزءًا من التقاليد المصرية.

بعض تلك الأعمال تصور الحوارات بين مختلف الآلهة المصرية، وتم إعطاء بعضها أسماء يونانية في حين ظل بعضها محتفظًا بالأسماء المصرية الخاصة بهم. كان الطابع الرسمي على هذه النصوص هو هرمس، بما يعادل وفقا لليونانية إله المعرفة والكتابة المصري، تحوت Thoth.

عادة ما يظهر هيرمس كمعلم من خلال الأحرف في الحوارات، بما في ذلك تات Tat، أمون Ammon، وأسكليبيوس Asclepius. ومن خلال المعلم الرئيسي قمنا بأخذ اسم النصوص كمجموعة: متون هرمس Hermetica، والكتابة التي لها علاقة مع هرمس Hermes.

غالبًا ما يطلق على هرمس Hermes هنا بمثلث الحكمة Trismegistus، «ثلاثي العظمة» «thrice-greatest»، وهو لقب ترجم من لقب مصري قديم لتحوت Thoth، حيث عثر عليه أول مرة من خلال اللغة اليونانية التي كان يستخدمها الكهنة المصريون في العصر البطلمي Ptolemaic. وبهذه الطريقة تميز هرمس Hermes المصري كرسول أولمبي للرب نسبة إلى جبل أولمبوس كما في الأساطير اليونانية Greek mythology.

وقد قام البروفسور غارث فودن Garth Fowden بتلخيص الكون من خلال المتون الهرمسية التي تدرس:

إن البشرية مقيدة داخل سلم الهرم الكوني المنسجم وتخضع للقوة الشريرة

ـطانية. هذا هو، محصورون في الكون بواسطة القدر. تمامًا، كانت هذه الأفكار
ـنصر على واضعي متون هرمس، ويمكن للمرء القول بأنهم مَعدَّدو الأشكال
ـكارهم الرائجة في أنحاء البحر المتوسط إبان الحكم الروماني.

في متون هرمس اليونانية Greek Hermetica المعروفة اليوم الحوارات الفلسفية،
ـت انتبه العلماء للتقاليد اللاتينية في أوروبا الغربية في عام 1940م. عندما قام
ـب يدعى ليوناردو Leonardo بجلب المخطوطة من النصوص اليونانية الهرمسية
ـي كوزيمو دي ميديتشي Cosimo de' Medici في فلورنسا Florence من مكان ما
ـي مقدونيا Macedonia. وقد تم سؤال العالم مارسيليو فسينو Marsilio Ficino
ـمتخصص في ترجمة أعمال أفلاطون Plato وإعطاء الأولوية لهرمس، الذي كان
ـتقد أنه أكثر قِدَمًا من الكتب اليونانية الكلاسيكية.

ونشرت ترجمته في سنة 1471م، وبعد قرن ونصف تم إصدار خمسة وعشرين
ـن النسخ اللاتينية من متون هرمس اليونانية. وفي عام 1554م قام أدريانوس
ـيرنيباس Adrianus Turnebus بإنتاج الطبعة الأصلية للمبادئ اليونانية الهرمسية،
ـكان الاهتمام غير عادي، حيث يعتقد أن متون هرمس اليونانية في تلك الفترة كانت
ـمشتقة من زمن ما قبل الطوفان العظيم، أو التي كانت معاصرة لزمن موسى عليه
السلام Moses، تمثل البدائية، المنبع الأصيل للحكمة.

هذه النصوص تعتبر مساوية مع سفر التكوين book of Genesis. وكان المؤلفون
في عصر النهضة يستخدمون هذه النصوص كمصدر للحركة الجديدة التي تمزج
ـما بين الأفلاطونية Neoplatonism، والكابالا اليهودية Jewish Cabbala، وتعاليم
ـمتون هرمس في النظام الفكري اليوم تدعى بالهرمسية Hermetism. المؤرخون
اليوم قاموا بما فيه الكفاية بتوثيق عميق لهذه الأعمال للتأثير على العلماء في أوروبا
الغربية في أواخر القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر، وأكثر من ذلك
حتى وقتنا الحاضر.

كانت بداية نهاية شعبية هرمس في عام 1614م، عندما أظهر إسحاق كسوبون Issac Casaubon أن متون هرمس اليونانية لم تكن قديمة كما كان يعتقد، وإنما كانت على ما يبدو مشتقة من إصدارة في بدايات العهد المسيحي. على الرغم من أن براهينه لم تكن معروفة على نطاق واسع، فقد تم رفض أبحاث كسوبون Casaubon من قبل النخبة الهرمسية في نهاية القرن. كما أن هيرمان كونرينج Hermann Conring أستاذ الطب في جامعة هلمستيديت University of Helmstedt، قام بمجادلة ضد المطالبة بالإرث الهرمسي في عام 1648م التي أدلى بها أتباع الخيميائي باراسيليوس Paracelsus. إن كسوبون Casaubon، كونرينج Conring، وغيرهما قد نجحوا في إزالة الهالة الأصلية الموثوقة عن متون هرمس بأنفسهم والتي كان من المفترض أن تكون هذه النصوص بمثابة إرث مستمر.

إنَّ الحركة الهرمسية تم إنشاؤها في القرن السادس عشر وتقلصت إلى حد كبير خلال فترة «الثورة العلمية»، عندما قل اعتماد العلماء بشكل أقل على الكتابات القديمة من أجل السلطة العلمية.

ومن بين عام 1630م و1856م لم يكن هناك إصدرات جديدة أو نسخة مطبوعة للمتون الهرمسية اليونانية وقد قام فسينو Ficino بإظهارها للنور علامة على بقين فائدتها العلمية.

وشهد القرن التاسع عشر وبدايات القرن الثامن عشر تدني مستوى الاهتمام بمتون هرمس،

لكن الغربيين المهتمين للحضارة المصرية، والخيميائيين، وأعضاء الجمعيات السرية، واصلوا دراسة المتون، وبالنسبة لبعض الممارسين في مجال التطور الحديث للدراسات الدينية، أصبحت متون هرمس عبارة عن وثائق فلسفية دائمة ومصدر لمخططات بنيوية.، وقد وجد السحرة مصلحتهم في هذه النصوص في العصور الرومانسية والحديثة.

قام الوسط العلمي بجهود بشرح متون هرمس Hermetica في القرن العشرين ومازال أحد ثمرة التاريخ المساق غير محسوم. وكان النقاش حولهم متركزًا بشكل فعال حول تحديد «الأمة» التي ينتمون إليها، سواء كانت اليونانية أساسًا ومن ثَمّ الأوروبية أو الغربية أو المصرية ومن ثَمّ الشرقية، أو ربما كانوا نتاج مجتمع محدد. إذا أمكننا العثور على مجموعة من المؤلفين، والتأكد من علاقتهم بالحركات الدينية أمثال اليهودية والمسيحية والغنوصية والوثنية، سيؤدي ذلك إلى تفسير الأمر بشكل أوسع ومن شأنه أن يساعدهم ذلك بمنحهم مكانا في التاريخ.

يرى فيستوجيري Festugière الذي درس متون هرمس وفحصها من عام 1940 - 1950م، وأعلن بشكل قاطع أنها نصوص هلنسيتية Hellenistic في الشكل والمضمون والمحتوى ولا تدين بشي أساسي إلى الحضارات غير اليونانية، دون أربعة مجلدات لإثبات وجهة نظره.

وفي أواخر عام 1970 و1980، ظهرت دراسة من قبل جان بيير ماهي Jean-Pierre Mahé وغارث فودن Garth Fowden تقول بأن هناك شيئًا مصريًا مميزًا في ذلك، وبإمكانهم فهم ذلك عند القيام بوضع السياق الهلنسيتية المصرية Hellenistic Egypt مع الثقافة التقليدية المصرية الأصلية. وقد افترض ماهي Mahé أن النصوص اليونانية أصلها من تعاليم الحكمة المصرية. أما فودن Fowden فقد أظهر بشكل مقنع أن من غير الإمكان للمرء فهم المتون الهرمسية Hermetica دون تحديد مكانها ضمن السياق الاجتماعي لمصر الرومانية. وكانت براهينه موثقة جيدًا بحيث أنَّ المتون الهرمسية Hermetica ليست يونانية ولا مصرية وإنما نتاج المجتمع المصري الروماني Roman Egyptian society معًا المركب من توليفة من الممارسات والأفكار في هذه التقاليد اللغوية والثقافية والدينية، إن المجتمع الذي من السهل فهمه دون الانفصال عن اليونانية أو الخصائص المصرية، تقول

بفهمنا الحالي أن المتون الهرمسية اليونانية Greek Hermetica تقف في صف فودن Fowden.

هناك عدد غير قليل من الأعمال مازالت باقية منسوبة إلى هرمس Hermes في اليونانية أكثر من مجرد خطابات فلسفية وقد قام المختصون بأخذ كل منهم ذلك بعين الاعتبار، أن الترجمة الإنجليزية الأخيرة من كوربوس هيرماتيكم Corpus Hermeticum لا تتضمن مقتطفات يونانية هامة وجوهرية حول الحوارات الهرمسية التي وجدت في مختارات ستوبيان Stobaean Anthology.

النصوص اليونانية نسبت إلى هرمس Hermes التعامل مع الطالع، وأيضًا استخدام الخواص الغامضة للمواد والممارسات التي تتعارض مع المناقشات النظرية، والفلسفة، ووصف التأملات التي وجدت في كوربوس هيرماتيكم اليونانية Corpus Hermeticum – الأكثر إهمالًا ومجهولة بشكل عملي. وتركز النظرة الحديثة لمتون هرمس اليونانية Greek Hermetica إلى حد كبير على قسم محدود من ما كان، بل لا تزال متاحة.

فهم متون هرمس Hermetica يتطلب أخذ الأعمال التي نسبت له في اللغات الأخرى غير اليونانية في عين الاعتبار، ومرة أخرى فإنَّ الأخصائيين لن يفشلوا في ملاحظة ذلك. إن الترجمات القبطية Coptic للمتون الهرمسية اليونانية Greek Hermetica التي وجدت في مخطوطات نجع حمادي Nag Hammādī codices، بدت تلقى اهتمامًا كبيرًا عن جدارة.

بعض من هذه المتون الهرمسية Hermetica باللغة القبطية لازالت على قيد الحياة في اليونانية الأصلية، ولم تنشر حتى عام 1970م.

أحد تلك النصوص التي لم تكن معروفة سابقًا هي الحوار الذي فتح بين مثلث الحكمة Trismegistus وتلميذه عن أسرار العقل التي لا توصف، وأوعز له بفقر

العالم بالحروف الهيروغليفية hieroglyphic characters وأن ينتزع النص ويؤدي بين القسم لحمايته من سوء الاستخدام. تتضمن المخطوطات القبطية Coptic codex جزءًا كبيرًا من الخطاب الكامل، بقيت هي الأخرى على قيد الحياة في الترجمة اللاتينية المعروفة باسم أسكليبيوس Asclepius.

وقد اجتذبت النسخة الأخيرة الطلاب في التقليد اللاتيني في العصور القديمة، والوسطى وحتى الحديثة. إن نصوص هرمس الأرمنية Armenian Hermetic تدعى «تعاريف هرمس The Definitions of Hermes» ترجمت من اليونانية مع بعض الإضافات التي لحقت بها، تم تحريرها ودراستها من قبل ماهي Mahé، وهم المؤلفون الأرمنيون Armenian authors من القرن السادس فصاعدًا. وهناك أعداد كبيرة للمتون الهرمسية اللاتينية Latin Hermetica في القرون الوسطى، تحتاج إلى إجراء أبحاث ليس فقط على محتوياتها والمذاهب، ولكن أيضًا على العلاقة بينها وبين متون هرمس Hermetica في اللغات الأخرى.

لحسن الحظ ظهرت دراسة جديدة قام بها باولو لوسنتيني Paolo Lucentini والتي نظمت تحت اسم هرمس لاتينو Hermes Latinus، سعيًا لسد هذه الثغرة التي نشرت في سلسلة كوربوس كريستيانوريم Corpus Christianorum. مع المساعدة من هذه الإصدارات والدراسات من المتون الهرمسية اللاتينية الأوروبية European Latin Hermetica من العصور الوسطى الجديدة، يمكن للمرء أن يبدأ في التوصل إلى فكرة عما كان متاحًا بالفعل في أوروبا اللاتينية قبل أن تصدر كوربوس هيرماتيكوم اليونانية Greek Corpus Hermeticum باللاتينية في أواخر القرن الخامس عشر.

ربما يكون هناك المزيد من الأعمال المنسوبة إلى هرمس Hermes باقية في اللغة العربية من أي لغة أخرى، والغالبية منها لا تزال غير معروفة وغير منشورة. بعض

منها تستمد بالتأكيد من المصادر اليونانية القديمة من خلال الترجمة. مثل كثير من متون هرمس اللاتينية Latin Hermetica، تم العمل على تأليفها إلى العربية.

ولكن حتى النصوص بحد ذاتها ليست قديمة الأصل.

في مصر عام 300 ميلادي، أظهر الخيميائي الأول زوسيموس من بانوبوليس (خيميائي صوفي يوناني) معرفته «للكتب المقدسة sacred books» لمتون هرمس Hermetica ونقل تلك المتون في أعماله، التي مازالت حية في اليونانية الأصلية وفي الترجمة السيريانية Syriac.

ووفقًا لبعض الأدلة، فإن أعمال هيرمس ترجمت إلى الفارسية الوسطى Middle Persian في القرن الثالث الميلادي في بلاد الإمبراطور الفارسي سابور الأول، جنبًا إلى جنب مع أعمال بطليموس Ptolemy، دوروثيوس Dorotheus، وغيرهم من المنجمين.[1]

وهناك كتاب هرمس الحكيم وهو نص في الابتهالات والتعاويذ السحرية والجرعات الدوائية المستخدمة لعلاج الأمراض. وهو ينسب إلى هرمس مُثلث العَظَمة (هرمس ثلاثي العظمة)، الذي نراه شخصية أسطورية ونُسبت إليه مجموعة ضخمة من الكتابات. قُسم الكتاب وفقًا لترتيب الحروف العربية في النظام الأبجدي (ألف وباء وجيم ودال وما إلى ذلك). وتبدأ المناقشة الخاصة بكل حرف بتشخيص لرجل بالغ يكون صاحب الحرف، ثم تنتقل إلى علاج موصوف يتضمن تعاويذ (تكون عادةً لنصوص دينية)، بالإضافة إلى المستحضرات النباتية وغيرها من المركبات الدوائية.

---

1. https: //www.sykogene.io

ثم ينتقل النص بعد ذلك لمناقشة حالة صبي وسيدة بالغة وفتاة، حيث تُوصَف حالاتهم بأسلوب باطني مشابه لوصف حالة صاحب الحرف محل النقاش، بينما يقوم الكاتب بذِكر العلاج المناسب لكل منهم.

وأسطورة هرمس مُثلث العظمة قد اتخذت عدة أشكال، فهناك رواية إسلامية مبكرة لأبي سهل الفضل بن نوبخت (توفي حوالي 815م)، وهو مُنجِّم عمل في بلاط العديد من الخلفاء العباسيين الأوائل، حيث اقتبس المؤلفون اللاحقون تعريف أبي سهل لهرمس بأنه كان أحد سكان بابل واضطر إلى مغادرتها لمصر عند سقوط الإمبراطورية الفارسية على يد الإسكندر الأكبر. لعبت مثل هذه الرواية دورًا جيدًا في تحديد منشأ علم تنجيم هرمس في منطقة الإمبراطورية الفارسية وبالتالي ضمن مجال اختصاص أبي سهل الذي كان مُنجِّمًا ذا أصل فارسي يعمل في بلاط الخلافة ببغداد.

يرجع تاريخ هذه المخطوطة المكتوبة بخط النسخ وبالحبر الأسود، والتي بها الكثير من التصحيف، لعام 830 هجريًا (1426–1427 ميلاديًا)، على الرغم من أن الباحث إيه. زي. إسكندر يُبيِّن أن هذه المخطوطة هي نسخة ترجع للقرن العشرين من مخطوطة سابقة.

وفي النهاية لايمكن التصديق بما في الكتاب من أمور سحرية تنسب إلى شخصية هرمس الذي يزعمون أنه هو إدريس عليه السلام. وكتاب هرمس غير سفر أخنوخ.

5

سفر أخنوخ (إدريس)

- الأسفار الأبوكريف عند أهل الكتاب.
- قراءة في سفر أخنوخ (إدريس عليه السلام).

الأسفار الأبوكريف عند أهل الكتاب

الأسفار الأبوكريف هي الكتب التي لاتعترف بها المجامع الكنسية واليهودية أو غالبيتها، وكلمة أبُوكْرِيفَا[1] (Apocrypha) كلمة يونانية قديمة تعني «أشياء تم إخفاؤها»، وتترجم إلى الكتب المنحولة أيضًا، وهي مصطلح ديني يستعمل اليوم حصرًا للإشارة إلى نصوص دينية تعتبر غير موثقة ومعترف بها من قبل الأكثرية الدينية وتدريجيًا اصطبغ المصطلح بمعاني سلبية مرادفة للتحريف، في المسيحية تطلق أبوكريفا على أسفار من الكتاب المقدس تم نبذها لأنه لم يتم إقرارها والموافقه عليها من قبل مجامع كنسية مختلفة.

وعند طائفة البروتستانت المسيحية تعتبر الأبوكريف هي الأسفار التي تعرف لدى طوائف أخرى بـ (الأسفار القانونية الثانية)، أي ما لم يثبت صحتها إلى اليوم،

وقد يعتبرها بعضهم مفيدة ولكنها غير مقدسة والبعض يعتبرها مقدسة.

تمت كتابة أسفار الـ (أبو كريفا) للعهد القديم (التوراة)، في فترة 400 سنة قبل الميلاد وهي من زمن النبي ملاخي إلى ولادة المسيح، وقد كان النبي ملاخي ذكر في نهاية سفره نبوءة عن مجيء يوحنا المعمدان (بروح إيليا) ليمهد الطريق لمجيء المسيح، اليوم العظيم، وبهذا ينتفي وجود كتب أخرى من الوحي المقدس بعد أن كان قد أشار إلى كيفية، ومتى مجيء رب المجد، ملاخي 4: 5-6 (هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف. 6 فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن).

---

1 قاموس الكتاب المقدس، شرح كلمة: أبو كريفا.

ويميز بعضهم بين كتب الأبوكريفا والكتب القانونية الثانية التي حذفها البروتستانت، والمسماة أيضًا ال (أبوكريفا)، فكتب الأبوكريفا (الأناجيل المزيفة)، لم تجمع عليها أية كنيسة. ومن الكتب الأبوكريفا التي تصل إلى 70 كتابًا:

إنجيل بطرس، إنجيل توما، إنجيل فيلبس، إنجيل مريم المجدليه، إنجيل راعي هرماس، وهذه الكتب لم تعترف بها أية طائفة مسيحية.

لكل طائفة مسيحية أسفار قانونية قد تختلف عن بعضها فمثلًا الأسفار القانونية للكاثوليك والأرثوذكس تحوى كافة الأسفار القانونية للبروتستانت إضافة لأسفار وأصحاحات (يسميها البروتستانت الأبوكريفا بينما يسميها الكاثوليك والأرثوذكس الأسفار القانونية الثانية). لن تجد الأبوكريفا في نسخة الكتاب المقدس التي تطبعها دار الكتاب المقدس وإنما تجدها في النسخ الكاثوليكية وهي أسفار في العهد القديم.

لم يتم اقرار أسفار الكتاب المقدس حتى العام 379م في مجمع قرطاج، وفي هذا المجمع تم إغلاق قانون الكتاب المقدس.

إنَّ الاختلاف الواضح بين الكتاب المقدس الكاثوليكي والأرثذوكسي وبين البروتستانتي واضح. فالنسخة البروتستانتية لا تحتوي على سبعة أسفار كاملة هذه الأسفار طوبيا، يشوع، ابن سيراخ، باروك الحكمة، يهوديت المكابيين الأول، المكابيين الثاني.

أما اليهود فقد انقسموا إلى قسمين، القسم الأول وهم اليهود العبريون عاشوا في فلسطين، والقسم الآخر هم اليهود الهيلانيون أو اليونانيون وهؤلاء عاشوا في الإسكندرية. وكان لكل قسم منهم نسخته من التوراة النسخة العبرية والنسخة اليونانية المعروفها بالسبتوجين، ولعل هذا هو السبب الذي يفسر سرعة انتشار المسيحية بين اليهود اليونانيين.

ويعد سفر أخنوخ من الأسفار الأبوكريف عند غالبية طوائف اليهود والمسيحيين ولكنه معترف به عند الكنيسة الأرثوذكسية الحبشية.

وجاء في موقع https: / /st-takla.org - (الأنبا عبد المسيح بسيط) أن الكتب الأبوكريف تتكون من عدة مجموعات أهمها:

(1) كتب أسطورية خاصة بميلاد العذراء والمسيح وطفولتهما وصبوتهما، تروي ميلاد المسيح وطفولته وكذلك ميلاد وطفولة العذراء القديسة مريم بشكل أسطوري.

(2) كتب أبيونية، مسيحية ذات صبغة يهودية، مبنية أساسًا على النص العبري للإنجيل للقديس متى، إذ تضم نصه مع بعض التعديلات التي تتناسب مع فكر هذه الفرقة المسيحية اليهودية التي تمسكت بعادات ونواميس وتقاليد اليهودية.

(3) كتب غنوسية تقدم الفكر الغنوسي من خلال كتب أسمتها أناجيل وأعمال للرسل أو رؤى للرسل ونسبتها لرسل المسيح أو لقادتها وقد بنتها على أساس ما جاء في الأناجيل الأربعة وسفر الأعمال وسفر الرؤيا، خاصة الإنجيل للقديس يوحنا وبقية أسفار العهد الجديد. بل واتخذت منها خلفية لها وانطلقت منها وراحت تبني عليها أفكارها الخاصة. وتنقسم هذه الكتب إلى:

(أ) كتب سُميت أناجيل ونسبت لرسل المسيح وزعم كل واحد منها أنه تعليم سري خاص جدًا أعطاه المسيح، سرًا، للتلميذ الموضوع اسمه على الكتاب وزعم أنه ظهر له وحده بعد قيامته من الموت أو بعد صعوده إلى السماء وكشف له وحده هذا السر الذي بني عليه الكتاب!! كما سميت بعض هذه الكتب بأسماء كتابها مثل إنجيل مركيون أو الفئة الهرطوقية التي استخدمتها مثل إنجيل الأبيونيين.

(ب) كتب سُميت أعمالًا ونسبت للرسل مثل أعمال بولس أو يوحنا.. الخ وقد بنيت أساسًا على بعض التقاليد الشفوية عن هؤلاء الرسل، وعلى سفر أعمال الرسل وأيضًا على أعمال يوحنا الذي كتب في القرن الثاني وتأثرت به أعمال كثيرة مثل أعمال بطرس وأعمال أندراوس اللذين يتشابهان معه كثيرًا.

(ج) كتب سُميت رؤى نسبت للرسل والتي اتخذت من رؤى العهد القديم وخاصة الرؤى المتحولة التي كتبت فيما بين العهدين نموذجًا لها، كما بنيت أيضًا على نموذج رؤيا القديس يوحنا القانونية.

(د) رسائل نسبت للمسيح، مثل الرسالة إلى الملك أبجار ملك أوديسا، ورسائل القديس بولس مثل الرسائل التي قيل إنها تبادلت بينه وبين الفيلسوف الروماني سينيكا، التي كُتبت بنفس أفكار ونفس آيات وعلى نمط رسائل العهد الجديد.

(ر) كتب صلوات وإرشادات وتعاليم دينية كتب بعضها نقلًا عن بعض آباء الكنيسة وكتب بعدها قادة الهراطقة.

وقبل أن نقدم فكرة عامة عن كل كتاب من هذه الكتب نؤكد على حقيقة هامة وجوهرية وهي أن هذه الكتب، الأبوكريفية، لم تناقش في أي مجمع من مجامع القرون الخمسة الأولى، سواء المكانية أو المسكونية، ولم تختلط في يوم من الأيام بأسفار العهد الجديد السبعة والعشرين، القانونية والموحى بها، لأنها لم تكتب لا في زمن تلاميذ المسيح ورسله الذين رحلوا عن هذا العالم فيما بين سنة 45م و100م وكان آخرهم القديس يوحنا، ولا في زمن تلاميذهم المباشرين أو خلفائهم الذين رحلوا عن العالم في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني. فقد دونت الأسفار الـ22 الأولى من الأسفار القانونية الموحى بها، فيما بين سنة 50م و70م، ودونت

يفينها، كتابات القديس يوحنا، فيما بين سنة 75 م. و95 م. في حين أن هذه الكتب الأبوكريفية كتبت فيما بين سنة 150م و450م وما بعد ذلك بكثير!! كما أنها، وخاصة الكتب الغنوسية منها، لم تكن في متناول العامة ولم تكن متداولة خارج نطاق الدوائر الهرطوقية التي أنتجتها، لأن هذه الدوائر تصورت أنها هي وحدها الأكثر سموا وإدراكًا للمفاهيم المسيحية الجوهرية أكثر من كل المسيحيين بل وأكثر من تلاميذ المسيح ورسله أنفسهم!! لذا اعتبرت الكتب كتابات سرية، خاصة بها وحدها، ولم تتركها للتداول بين عامة المسيحيين لأنها تصورت أن الذين من خارج دوائرهم الهرطوقية لن يفهموا محتواها!! ومن هنا سُميت بالأبوكريفية، أي السرية، ثم تحولت الكلمة، أبوكريفا، في المسيحية من السرية إلى المزيفة لأن من زيفها وألفها هم قادة هذه الفرق الهرطوقية الغنوسية، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع هنا في موقع الأنبا تكلاهيمانوت في أقسام أخرى. ولذا فلم تكن هذه الكتب، الغنوسية، منتشرة بين عامة المسيحيين كما زعم نقاد المسيحية بغير علم ولا معرفة!! فلم يعرف العامة سوى بعض الكتب الأسطورية مثل الكتب الخاصة بميلاد المسيح وما سمي بإنجيل نيقوديموس.

ويضيف: ولكن بعض قادة الكنيسة في الغرب وهم: القديس إيريناؤس أسقف ليون (120-202 م.)، والعلامة ترتليان (145-220 م.)، من شمال أفريقيا، وهيبوليتوس الروماني (170-235 م.)، وأبيفانيوس أسقف سلاميس بقبرص (315-403 م.)، انشغلوا بهذه الكتب وبما جاء فيها فقاموا بدراستها وتحليلها وردوا على ما جاء بها من هرطقات وأخطاء وأساطير وتعاليم تختلف اختلافًا جوهريًا عما تسلمته الكنيسة من تلاميذ المسيح ورسله وخلفائهم، ولا تزال هذه الكتب التي كتبها الآباء موجودة بين أيدينا الآن وبعدة لغات. وقد أثبتت الاكتشافات الحديثة للمخطوطات والدراسات العلمية أن لها مصداقية ودقة هؤلاء الآباء وأمانتهم العلمية والأدبية. (انتهى).

وعن طفولة المسيح في الأناجيل القانونية وبداية حياته مع أمه مريم العذراء لا تجد معلومات كافية، ولكنها توجد في أناجيل من القرن الثاني تسمى «أناجيل الطفولة» لم يتم اعتمادها كأناجيل قانونية وتعتبر من الأناجيل الأبوكريف ومنها:

- إنجيل ولادة مريم وطفولة المخلص.
- إنجيل يعقوب
- الإنجيل الطفولي لتوما.
- حياة يوحنا المعمداني
- تاريخ يوسف النجار
- إنجيل الطفولة العربي
- ميلاد مريم
- إنجيل يعقوب
- إنجيل متّى
- إنجيل الطفولة المنحول إلى توما
- إنجيل الطفولة اللاتيني
- إنجيل الطفولة العربي
- إنجيل راعي هرماس.[1]

1. مدخل إلى العهد الجديد - الدكتور موريس تاوضروس.

قراءة في سفر أخنوخ (إدريس عليه السلام) الأول والثاني

سفر أخنوخ أو صحف إدريس عليه السلام من الأسفار الأبوكريف أي غير القانونية وهو معترف به عند الكنيسة الأثيوبية» أو «الحبشية» الأروذكسية، وينسب إلى أخنوخ المذكور في (تك 5: 23و24).

والكتاب عبارة عن مجموعة من الأسفار اليهودية كتبت أصلًا في اللغة الأرامية على وجه الترجيح. وقد فقد الأصل الأرامي ولكن وجدت أجزاء من هذا الكتاب في الترجمة اليونانية. وكذلك توجد نسخة حبشية ترجمت عن النسخة اليونانية التي بدورها ترجمت عن الأصل الآرامي الذي يرجح أنه كتب بين سنة 163 و80 قبل الميلاد.

ويحتوي السفر بأخبار الرؤى عن المسيا المنتظر (المسيح المنتظر) عند اليهود والمسيحيين. ويدعى المسيا في هذا الكتاب «مسيح الله» و«البار» و«المختار»، وكثيرًا ما يدعى المسيا خطأً «ابن الإنسان» وفى هذا السفر أن «ابن الإنسان» كان موجودًا قبل خلق العالم، وأنه سيدين العالم، وأنه سيملك على الشعب البار.. والسفر مليء بأسرار الكون والسماء والأقدار والأرواح والملائكه العالين والعرش.

ويقتبس كاتب رسالة يهوذا في (عددي 14و15 -سفر أخنوخ ص 1: 9). وكذلك يوجد لبعض الأقوال الخاصة بأواخر الأيام في العهد الجديد ما يقابلها في سفر أخنوخ.

وقد اقتبس بعض الآباء المسيحيين في العصور المسيحية الأولى بعض أقوال هذا السفر. ومن بين هؤلاء جاستين الشهيد وأرينيوس وأكليمندوس الإسكندري وأوريجانوس.

ولكن قادة المسيحيين فيما بعد أنكروا هذا الكتاب ورفضوه، ومن بين هؤلاء يوحنا فم الذهب وأغسطينوس وجيروم أو أورينيموس. ولا يعتبر اليهود أو المسيحيون هذا الكتاب ضمن الأسفار القانونية.

توجد نسخة سلافية تختلف في محتوياتها عن النسخة السابقة (السلافية الكنسية القديمة وتختصر (OCS)، ويسمى هذا السفر غير القانوني «أخنوخ الثاني» أو «كتاب أسرار أخنوخ» وقد كتب هذا السفر اليهودي أولًا في اللغة اليونانية في مدينة الإسكندرية في النصف الأول من القرن الأول الميلادي. وقد فقد الأصل اليوناني أما النسخة الموجودة الآن فهي ترجمة سلافية.

ويحتوي على رحلة أخنوخ في السماوات السبع وإعلانات الله لأخنوخ حسبما يزعمون وكذلك يحتوي على ما يقولون إنه تحذيرات أخنوخ لأبنائه.[1]

من الحكم التي يحتويها الجزء الثاني من سفر أخنوخ حكمتين:

الحكمة الأولى: تتحدث عن محاكمة الكفار والأقوياء والطغاة وثواب الأبرار.

الحكمة الثانية: ويشير فيها إلى:

تشير إلى المصطفى ويضيف إليه لقبا آخر هو «ابن الإنسان» الذي يرتبط بالحق والإخلاص وهو القاضي في الآخرة. فمن هو ابن الإنسان؟

«ابن الإنسان» يراه بعضهم انه المسيح ابن مريم ويراه بعضهم الآخر أنه إشارة

---

1. www.St-Takla.org.

واضحة إلى النبي محمد ﷺ، ويراه آخرون إشارة إلى المهدي المحمدي أو إلى شخصية أخرى مثله هي شخصية القحطاني.[1]

ويتحدث سفر البعث عن البعث والحساب وأن المختار ابن الإنسان سيجلس على المكان المحمود في نهاية الزمان يوم الحساب. ويتحدث عن القتال أمام القدس وطرد الشعوب الغازية مثل الميديين.

ويُنبئ أيضًا إلى الطوفان حيث أرسل الله تعالى الملائكة لصنع السفينة التي أنقذت سيدنا نوح عليه السلام.

- ورد في الحكمة الثانية عدة أعمال سوف يقوم بها «ابن الإنسان» وحددّ هذه الأعمال، منها أنه يقضي على الأباطرة والطغاة، وأن العدالة ستسود في زمنه، وأنه يجلس على المكان المحمود.

ويتكلم أخنوخ عن المصطفى أول من تنشق الأرض عنه، وكيف أن الملائكة في هذا اليوم ستتلقى المؤمنين وتبشرهم أن هذا يومهم الذي كانوا يوعدون، وكيف سيتعلق ابن الإنسان بالعرش ويؤتى محامد يثني بها على الله تعالى فيقال له اسأل تعط واشفع تشفع.. في يوم القيامة ستكون الجبال والتلال كالصوف المنفوش.. وسترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون.. وستشرق الأرض بنور ربها.. وسيقول المؤمنون الحمد لله الذي أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء.. وسيدخل الصالحون الجنة يأكلون ويشربون لا يمسهم فيها نصب ولا لغوب.

يقول أخنوخ في سفر (كتاب) أخنوخ الإصحاح 54: «في تلك الأيام سترَدّ الأرض ما أؤتُمنت عليه وسترد جهنم ما أخذته ذلك أنه في هذه الأيام سيقوم المصطفى ويختار الصالحين والقديسين من بين الموتى قد جاء اليوم الذي فيه يُنقذون. المصطفى في هذا اليوم سيجلس على عرشي وسينطلق لسانه بأسرار

1. اقرأ كتابنا القحطاني خليفة العصر الأخير. الناشر دار الكتاب العربي بالقاهرة

من الحكمة والمحاماة قد أعطاها له رب الأرواح ومجده وفي هذه الأيام ستحرك الجبال كأنها خراف وتثب التلال كأنها نعاج أرضعت بالحليب ويشع بالغبطة كل وجوه الملائكة بالسماء ستبتهج الأرض. الصالحون سيعيشون عليها. وسيمشي المختارون وسيحكمهم رب الأرواح. وسيأكلون مع ابن الإنسان ويرقدون ويقومون إلى الأبد والأبد. المختارون والصالحون سيقومون من الأرض وتختفي عنهم قسمات الانكسار».

ويرى بعضهم أن كاتب سفر أخنوخ الأبكريفي كتبها في وصف المسيا السماوي ابن الله ذي الطبيعة الإلهية وابن الإنسان ذي الطبيعة البشرية الذي يؤمن به المسيحيون.

توجد نسخة سلافية تختلف في محتوياتها عن النسخة الأولى ويسمى هذا السفر غير القانوني «أخنوخ الثاني» أو «كتاب أسرار أخنوخ» وقد كتب هذا السفر اليهودي أولًا في اللغة اليونانية في مدينة الإسكندرية في النصف الأول من القرن الأول الميلادي. وقد فقد الأصل اليوناني أما النسخة الموجودة الآن فهي ترجمة سلافية.

ويحتوي على رحلة أخنوخ في السماوات السبع وإعلانات الله لأخنوخ حسبما يزعمون وكذلك يحتوي على ما يقولون إنه تحذيرات أخنوخ لأبنائه.

وتاريخ كتابة السفر الأول والثاني من دائرة المعارف كما يقترح «بليفر» أن المقدمة من 150 - 100 ق.م. والكتاب الأول حوالي 100 ق.م. والكتاب الثاني فيما بين 100 - 80 ق.م.، والكتاب الخامس فيما بين 100 - 80 ق.م.، (باستثناء رؤيا الأسابيع، فهي ترجع إلى 163 ق.م)، والخاتمة فيما بين 100 - 80 ق.م.، وإن كان الأصحاحان 106 و107 المأخوذان عن سفر نوح، قد يرجعان إلى تاريخ سابق.

ويقول بعضهم الآخر إنَّ السفر الأول يرجع إلى ما قبل 170 ق.م. كما يرجع د.تشارلز برؤيا الأسابيع إلى ما قبل عصر المكابيين، ولو أنه يعترف بصعوبة الجزم

ذلك. ولعل السفر كله جمع في القرن الأول قبل الميلاد، ويقترح بعضهم أن ذلك تم في 95 ق.م. أو 63 ق.م.، أو في حكم هيرودس (37 - 4 ق.م.).

أي أن السفر كله من كتابة اليهود الذين أسسوا جمعية القوة الخفية الماسونية التي تهدف إلى تأليه المسيح الدجال ونصفه بالمسيح المنتظر (المسيا). وهذا واضح من نص السفر الذي يؤله ابن الإنسان ويجعله في مصاف الإله يوم الدينونة.

وهناك من يرى أن هذا السفر هو سفر حقيقي وليس منحولاً وإن طاله بعض التحريف كما طال ذلك الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى، ويقول أصحاب هذا الرأي إنَّ المخطوطة (سفر أخنوخ) مكتشفة ضمن مخطوطات البحر الميت، ورسالة العبرانيين مجهولة الكاتب ويهوذا استشهد به في كتابه.

فكيف يستشهد بكتاب غير قانوني غير موجود في زمنه؟

وكيف يستشهد الكاتب المجهول للعبرانيين بشيء هم لا يؤمنون به أو لا يعتقدون أنه من كتبهم القانونية!

جاء في الرسالة إلى العبرانيين الإصحاح 11:

(بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله. إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله)

نقرأ في يهوذا إصحاح 1 (14 - 15) نبوءه من سفر أخنوخ:

14 (وتنبأ عن هؤلاء أيضًا أخنوخ السابع من آدم قائلا هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه 15 ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار.)

ويقولون إن سبب إنكار اليهود والنصارى لسفر أخنوخ هو أن السفر تنبأ بابن الإنسان المصطفى ووصف بذلك الرسول محمد ﷺ في نصوص واضحة.

وقالوا إن بعض رجال الدين المسيحي القدامى كانوا يستشهدون باقتباسات من سفر أخنوخ مما يشهد أنهم اعتبروه سفرًا قانونيًا، وأن الكنيسة الحبشية حتى الآن تعتبره سفرًا قانونيًا.

وأن التشابه بين رسالة يهوذا وسفر أخنوخ يثبت أن سفر أخنوخ فيه الحق وفيه الباطل.

فما دامت قانونية السفر اختلف عليها النصارى وحتى من ينكرون قانونيته يرون أن فيه أجزاء حقيقية فلا داعي لإنكار الاستشهاد بما فيه من نبوءات، وقد استشهد كتبة أسفار العهد الجديد بما فيه من نبوءات.

والنبي الموعود في سفر أخنوخ يلقب بمسيح الرب وبابن الإنسان وهما من ليس من ألقاب المسيح وإنما من ألقاب النبي ﷺ.

فألقاب مسيح الرب وابن الإنسان ليست ألقاب خاصة بالسيد المسيح وهذه الألقاب أطلقت على آخرين غير المسيح في الكتاب المقدس.

ومما يشهد بذلك أيضًا أن ملاكًا خاطب النبي أخنوخ مناديًا إياه بابن الإنسان وذلك في الإصحاح 60 عدد 10 قائلا له: (يا ابن الإنسان! هنا تريد أن تعرف ما هو سر...)

إضافة إلى أن المسيح ابن ليس ابنًا للإنسان فقد خلق من غير أب كما هو معلوم للجميع فهو ليس شبيهًا لابن الإنسان، فشبيه ابن الإنسان كل الأنبياء والمهديين.

وفي سفر أخنوخ يقول إنَّ الشعوب ستسجد للمختار المصطفى وتلك شبه قالها من يدعي أن السفر منحول لأنه كيف للمسلم أن يقبل أن الناس تسجد للنبي ﷺ من دون الله؟

فالإسلام يجعل السجود لله عز وجل وليس للنبي ﷺ أو لأحد من دون الله، لكن لا يوجد ما يمنع أن يكون السجود كناية عن الخضوع ولا يقصد به المعنى الحرفي ويكون الخطأ هنا في فهم الترجمة، إضافة إلى أن ابن الإنسان المذكور في السفر يقصد به حسب تفسير لإمام المسلمين وخليفتهم آخر الزمان وهما شخصان أحدهما المهدي المحمدي أو القحطاني اليماني فقد جاء في الحديث النبوي الصحيح:

ما رواه الإمام أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه).

قال القرطبي رحمه الله في التذكرة (يسوق الناس بعصاه) كناية عن استقامة الناس

وانعقادهم إليه واتفاقهم عليه ولم يرد نفس العصا وإنما ضرب بها مثلا لطاعتهم له واستيلائه عليهم إلا أن في ذكرها دليل على خشونته عليهم وعنفه بهم .انتهى كلامه.

ولأنه رجل صالح وخليفة راشد فالذي يظهر من هذا الحديث هو اجتماع الناس عليه واتباعهم له واستيلائه عليهم فلابد أن هذا الخليفة سيكون قائدًا فريدًا يعطيه الله سبحانه وتعالى من الأسباب التي تجمع الناس عليه وتطيعه، وهذا من سنة الله سبحانه فإذا أراد رفعة عبد من عباده أعطاه أسباب الملك كما حدث لذي القرنين قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ [الكهف: 84].

فالقحطاني يسوق الناس بعصاه فتحبه الناس حبًا عظيمًا ويطيعونه ولا يخرجون عن طاعته وهذا وصف عظيم له فلكي يحدث له ذلك لا بد أن يعطيه الله من الأسباب والأمور الفريدة في شخصيته ولا بد أن يعطيه الله من الدنيا ما يستطيع به إقامة ملكه وإدخال الناس في سلطانه.

وكذلك سيكون المهدي المحمدي وكذلك كان النبي ﷺ في زمانه، فقد نصر النبي ﷺ وأتباعه على الشعوب وزال ملك ملوكهم وأصبحت هذه القبائل

والشعوب خاضعة لحكم الإسلام وللنبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده فهذا هو معنى السجود للمختار في سفر أخنوخ.

وربما يحاول النصارى أن يزعموا أن السجود المراد به معناه الحرفي وهو الانحناء بالوجه إلى الأرض ويقولون إن المقصود بالنبوءات هو السيد المسيح.

ولكن الواقع يقول إن السيد المسيح عليه السلام حتى وإن اعتقد النصارى بأنه إله وابن إله إلا أن الشعوب لم تسجد له بالمعنى الحرفي لكلمة السجود أو أنهم خضعوا له، لأن النصرانية ليس فيها سجود كالذي في الصلاة في الإسلام.

ولذلك فسفر أخنوخ ينطبق عليه عندنا ما ينطبق على كل الأسفار التي لدى أهل الكتاب.

وقد جاء في سفر دانيال بالعهد القديم: (كنت أرى أنه وضعت عروش، وجلس قديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار متقدمة، نهر نار جار وخروج من قدامه، ألوف ألوف تخدمه، ربوات ربوات وقوف قدامه، فجلس الدين وفتحت الأسفار، كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن» دانيال 7.

وفي نفس السفر «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى قديم الأيام، فقربوه قدامه، فأعطى سلطانًا ومجدًا، وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي، لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» دانيال7.

فالشخص المشار إليه في هذين النصين بقديم الأيام هو الإمام المهدي المحمدي وعند بعضهم هو الخليفة القحطاني، فالمهدي سيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا ويقيم دولته العادلة وجميع البشرية يومئذ داخلة في حكمه وتحت طاعته وسلطانه.

وورد في الفصل السابع من كتاب النبي «حبقوق»:«... وإن تأخر، فانتظره.لأنه سيأتي وسيتوقف بل سيجمع حوله جميع الأمم ويعدّهم جميعًا لنفسه».

وفي كتاب «النبي أشعيا» ١١: «وستظهر نبتة من جذع يسي «١» وينتصب فرع من فروعها. سيحكم الذليلون بالعدل والقسط. فالعدالة محور الحكم.وستعيش الشاة إلى جانب الذئب.والطفل الصغير سيكون الراعي. ولن يكون هنالك فساد وضرر في جميع أرضي المقدسة.لأن الأرض ستمتلئ من علم الله، كالمياه التي تملأ البحار».

ومن انجيل «متي»: «حيث يأتي البرق من المشرق ويظهر في المغرب، هكذا سيكون قدوم ابن الإنسان... سيرون ابن الإنسان كيف سيقف بقدرته وجلال عظمته.وسيبعث بملائكته (أصحابه) وسيجمع هؤلاء أولياءهم».

وفي سفر أخنوخ يقول إن المختار المصطفى موجود من الأزل، فقالوا كيف يكون ذلك في حق النبي ﷺ؟

والرد على هذا القول: أن البعثة النبوية الشريفة في علم الله وفى قدر الله وفى كتاب الله من الأزل قبل خلق آدم عليه السلام كما في الحديث النبوى عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ» رواه أحمد بن حنبل في مسنده.(1)

وسفر أخنوخ يقول إن المختار المصطفى سيدين الناس وهو ما يعتقده النصارى في المسيح حيث يعتقدون أنه سيدين الناس ويحاسبهم يوم القيامة.

---

(1) حديث صحيح لغيره.

والمراد بالديونة هو شهادة النبي ﷺ على أمته وقومه يوم القيامة، وليس فيها بمحاسبة الناس. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

وسفر أخنوخ يتحدث عن نبي يرث أتباعه الأرض، والمسلمون ورثوا الأراضي والبلاد التي كانت ملكا لغيرهم من الشعوب كالفرس والرومان بالفتوحات الإسلامية، بينما لم يرث النصارى أي أرض وبقيت الأرض ملكا للرومان وليس لهم.

وسفر أخنوخ يتحدث عن نبي قوي مقاتل ينزع الملوك والجبابرة من على عروشهم وهو ما فعله النبي ﷺ فقد انتزع أتباعه الملك من كسرى وقيصر وغيرهم من الملوك بينما لم ينتزع النصارى الملك من أحد وظلوا لمئات السنين مضطهدين من الأباطرة الرومان.

سفر أخنوخ يتحدث عن نبي يتوب على يديه الوثنيون، وهو ما حدث مع رسول الله ﷺ فقد ترك مشركو العرب عبادة الأوثان ودخلوا في دين الله أفواجا، قال تعالى في سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾.

ويتحدث سفر أخنوخ عن نبي تدفع له الضرائب والجزية وسيفه ملطخ بدماء الكفار أي أنه نبي مقاتل، وهذا لم يتحقق في المسيح عليه السلام.

وقالوا سفر أخنوخ يقول إن المصطفى المختار سيجلسه الله على عرشه وهو ما لا يناسب النبي ﷺ باعتباره ﷺ بشرًا رسولًا فهو لا يخرج عن درجة العبودية لله وليس ابنًا لله ولا إلهًا مع الله حتى يجلس على عرش الله.

إن جلوس النبي ﷺ على العرش يوم القيامة لا يرفعه بأيّ حالٍ من الأحوال عن درجة العبودية لله عز وجل، ولا نعلم حديثًا يُروى عن النبي ﷺ بهذا المعنى، ويكفي

روى الخلال (في السنة) عن مجاهد في قوله: عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا. قال: يجلسه على العرش، قال ابن مصعب يجلسه على العرش ليرى الخلائق كرامته عليه ثم ينزل النبي ﷺ إلى أزواجه وجناته.

قال المحقق له: إسناده ضعيف.[1]

قال ابن عبد البر في الاستذكار: تأويل قول الله عز وجل: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ [الإسراء: 79]. المقام المحمود هو شفاعته في المذنبين من أمته ولا أعلم في هذا مخالفا إلا شيئًا رويته عن مجاهد ذكرته في التمهيد وقد روي عنه خلافه على ما عليه الجماعة فصار إجماعًا منهم والحمد لله. انتهى.

أشار ابن القيم إلى هذا الكتاب في بدائع الفوائد (4/ ٢٩):

قال القاضي صنف المروزي كتابًا في فضيلة النبي ﷺ، وذكر فيه اقعاده على العرش قال القاضي: وهو قول أبي داود، وأحمد بن أصرم، ويحيى بن أبي طالب، وأبي بكر بن حماد، وأبي جعفر الدمشقي، وعياش الدوري، وإسحق بن راهويه، وعبدالوهاب الوراق، وإبراهيم الأصبهاني، وإبراهيم الحربي، وهرون بن معروف. ومحمد بن إسماعيل السلمي، ومحمد بن مصعب العابد، وأبي بكر بن صدقة، ومحمد بن بشر بن شريك، وأبي قلابة، وعلي بن سهل، وأبي عبد الله بن عبد النور وأبي عبيد، والحسن بن فضل، وهرون بن العباس الهاشمي، وإسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، ومحمد بن عمران الفارسي الزاهد، ومحمد بن يونس البصري، وعبدالله ابن الإمام أحمد، والمروزي، وبشر الحافي، انتهى. والله أعلم.

1. كتاب (السنة) لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال رحمه الله.

كلمة أخيرة

أوليات وبعض حكم إدريس عليه السلام

وبعد طوافنا بكم في سيرة إدريس عليه السلام وقبل أن نترككم مع متن سفر أخنوخ الثاني، نختم بذكر بعض أوليات إدريس عليه السلام وهي الأمور التي كان له السبق فيها ولم يسبقه فيها أحد وكذلك بعضا من حكمته.

مما ذكروه عن إدريس عليه السلام من أنه كان الأول فيه، نذكر:

أنه أول من خط بالقلم وعلمها لقومه، وهو أول من تعلم كيفية خياطة الثياب من صوف وشعر الحيوانات ولبسها، وعلمها لقومه، حيث كانو قبل ذلك يضعون جلد الحيوان على أجسامهم.

وقيل إنه أول من يركب الخيل عندما جاهد في سبيل الله ضد ولد قابيل لما كانو بالعراق. وهذا خطأ من الإسرائيليات، فإن أول من ركب الخيل وروضها بعد أن كانت وحشية هو سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

وهو أول من تكلم في الهندسة والطب والفلك وعلم النجوم والحساب، وعلوم الكيمياء والفيزياء وأول من اتخذ الموازين والمكاييل...و ما إلى ذلك، وتعلمها المصريون القدماء عنه وهذا يفسر سبب أنهم أول من يتكلم في هذه الأمور في التاريخ، ونبوغهم بهذا المجال وعبقريتهم فيه، وهو أول من ذكره الله تعالى بالثناء في القرآن، فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ والصدِّيقية هي أعلى الدرجات التي تلي درجة الأنبياء والشهداء مباشرة ولذلك رفعه الله إلى درجة (نبيًا).

قال البقاعي في تفسيره: (ومن جيد المناسبات أن إسماعيل وإدريس عليهما الصلاة والسلام اشتركا في البيان بالعلم واللسان، فإسماعيل عليه السلام أول من أجاد البيان باللسان، وإدريس عليه السلام أول من أعرب الخطاب بالكتاب).

قال ابن إياس الحنفي في بدائع الزهور: (وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط وكان إذا خاط يسبح الله عند كل غرزة من الابرة فإذا غفل وخاط يفتق ما خاطه بغير تسبيح.... ثم أنزل الله على إدريس ثلاثين صحيفة فكان لا يفتر عن قراءتها ليلًا ولا نهارًا، وكانت الملائكة تاتي لمصافحة إدريس وكان يرفع كل يوم لإدريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس.... قال وهب بن منبه: رفع إدريس إلى السماء وهو ابن 365 سنة، وقيل لما رفع إدريس عليه السلام إلى السماء تولى بعده ابنه متوشالخ فحكم بين الناس بالحق. ولما توفي متوشالخ سلم التابوت والصحف إلى ابنه لامك).

وقد رُوي أن إدريس عليه السلام جاءه مرة إبليس في صورة إنسان وكان سيدنا إدريس يخيط وفي كل دخلة وخرجة يقول سبحان الله والحمد لله، فجاءه إبليس اللعين بقشرة وقال له: الله تعالى يقدر أن يجعل الدنيا في هذه القشرة؟ فقال له سيدنا إدريس: الله تعالى قادر أن يجعل الدنيا في سَمّ هذه الإبرة أي ثقبها، ونخس بالإبرة في إحدى عينيه وجعله أعور، وهذا ليس ثابتًا من حيث الإسناد.

واشتهر سيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام بالحكمة والمواعظ المؤثرة، فمن حكمه عليه الصلاة والسلام:

«الصبر مع الإيمان بالله يورث الظفر» وقد قيل إن هذه الحكمة كانت منقوشة على فص خاتمه

ومنها: «إذا دعوتم الله فأخلصوا النية وكذا الصيام والصلوات فافعلوا» أي أخلصوا النية لله تعالى في الدعاء والصيام والصلوات.

ومنها «تجنبوا المكاسبَ الدنيئة»

ومنها: «من أراد بلوغ العلم وصالح العمل، فليترك من يده أداة الجهل وسيئ العمل، فحبّ الدنيا وحبّ الآخرة لايجتمعان في قلب أبدًا»

ومنها: «حياة النفس الحكمة»

ومنها: «لا تحلفوا بالله كاذبين».

وهذه الحكم والوصايا وغيرها مذكورة بكتاب الموتى، المكتشف في احدى المواقع الاثرية بمصر، والذي يعود عمره إلى 12 الف سنة.